

منشورات اتحاد



القاهـــرة

ندوة

طرق التجارة العالمية عبر العالم العربى على مر عصور التاريخ

ندوة

عقدها الاتحاد بمقره فى القاهرة

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

حصاد
(٨)



أ.د. غيثان بن علي بن جريس *

ملامح النشاط التجارى لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة

١- تمهيد :

أحيطت بلاد تهامة والسراة من جهاتها الأربع بحدود جغرافية متنوعة ، فالبحر الأحمر يحدها من الغرب ، وصحارى وسط الجزيرة العربية من الشرق، والبلاد السعيدة، أرض اليمن، من الجنوب ، ومكة المكرمة والطائف من الشمال. يعنى ذلك أنها ترتبط بعدة مناطق لها أهميتها التاريخية والحضارية ، علاوة على ثرواتها البشرية والطبيعية. وعلى الرغم من هذا نجد ذكرها فى المصادر القديمة قليلاً وأحيانًا يكاد يكون نادراً ؛ لأن بدايات التدوين كانت منصبة على كبريات الحواضر الإسلامية فى العالم الإسلامى، فكان حديثهم عن شبه الجزيرة العربية منصبًا على مدن الحجاز واليمن والبحرين واليمامة وغيرها من المدن الكبرى. وهكذا بقيت بلاد تهامة والسراة وغيرها من مثيلاتها فى طى النسيان . ولهذا فان البحث التاريخى الحضارى فى جانب من جوانب هذه الأجزاء المنسية يكاد يكون صعبًا ، إن لم يكن شائكًا ، وذلك لقلة المعلومات عنها.

واختيارنا لهذا الموضوع «ملامح النشاط التجارى لبلاد تهامة والسراة فى العصور الإسلامية الوسيطة»، يعود إلى أهميته وجدته فى الوقت نفسه، ثم إلى أهمية هذه البلاد

* أستاذ ورئيس قسم التاريخ- كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية - جامعة الملك خالد.

اقتصاديًا وتجاريًا. وسوف نركز على العديد من العناصر لاستجلاء الحقيقة التاريخية التى توضح أهمية هذه المنطقة ، فنبدأ بأهمية الموقع الجغرافى، ثم اهتمام الحكام والولاة بالنشاط التجارى فى هذه البلاد مع الإشارة إلى بعض المقومات الأساسية لنجاح التجارة بها، وبعد ذلك نتجه إلى الحديث عن الحياة التجارية وما يتعلق بها، فنوضح الطرق التجارية الهامة، والأسواق التى كانت منتشرة بهذه البلاد، مع الإشارة إلى أهم صادراتها ووارداتها ، وما يمكن ذكره من سير التعامل التجارى فى هذه المنطقة، والمشاكل التى كانت تعترض هذا النشاط.

٢- الموقع الجغرافى لبلاد تهامة والسراة:

بلاد تهامة والسراة، التى نقصدها فى هذه الدراسة، هى المنطقة الواقعة بين اليمن جنوبًا، والحجاز شمالاً. وهذه المنطقة لاتشمل كل أرض تهامة والسراة المشار إليها فى بعض كتب التراث، والتى تجعلها تمتد شمالاً إلى المدينة المنورة ، أو بلاد الشام، وجنوبًا إلى حواضر اليمن الكبرى. أما هذه الدراسة فسوف تركز على واسطة العقد، أى قلب ذلك الإقليم ووسطه .

أما بلاد تهامة، فهى تلك الأراضى المنخفضة بين ساحل البحر الأحمر وبين جبال السروات ، وهناك العديد من المصادر اللغوية، والجغرافية والتاريخية المبكرة أشارت إلى أن العرب أطلقوا على جبال السراة حجازاً ، لأنها حجزت بين الأغوار التهامية، وهى هابطة، وبين نجد وهو ظاهر، فصار ما خلف تلك الجبال فى غربيه إلى أسياف البحر، الغور ، أو أغوار تهامة[١].

وتشكل هذه البلاد أرضًا واسعة طولها أكبر من عرضها، حيث تأتى فى الوسط بين ساحل البحر الأحمر من الغرب، وسفوح جبال السروات من الشرق. أما فى الطول فقد تمتد من مكة المكرمة شمالاً إلى بلاد عدن جنوبًا، ولكن ينبغى الإشارة إلى أننا لن نتعمق فى الدراسة عن تهامة اليمن، وإنما سوف نقصر حديثنا جنوبًا إلى المخلاف السليمانى (منطقة جازان الحالية)، وشمالاً إلى الأطراف الجنوبية لمنطقة مكة المكرمة . وهى منطقة سادها بعض الغموض والنسيان خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة، رغم أنه كان يقطنها العديد من العشائر والقبائل المتعددة، التى كان لها دور فى تاريخ المنطقة. وقد أشار ابن حبيب، والهمدانى ، وناصر خسرو، وابن المجاور وغيرهم إلى بعض تلك العشائر والقبائل، مع ذكر بعض من مواطنهم ومراكزهم الحضارية[٢]. ومن تلك المراكز الكبرى فى العصور الوسطى، بلدان المخلاف السليمانى ، وهى: من الشرجة (الموسم حاليًا) جنوبًا إلى حلى بن يعقوب شمالاً ، ثم يأتى

بعدها فى الشمال بلاد السرين، وعشم ، والليث، والقنفذة، ويلملم ، وهذه المواطن تشمل قرى وأحوازاً ومخاليف عديدة [٣]. ويأتى إلى الداخل من أرض تهامة، وعلى مقربة من سفوح جبال السروات ، من الجنوب إلى الشمال ، صبيا وبيش، ودرب بنى شعبة، ورجال ألمع ، وبارق ، وخاط ، والمجاردة، وتهامة غامد وزهران وغيرها مراكز حضارية عديدة[٤].

وعن بلاد السراة، فسراة الشيء فى اللغة أعلاه، وظهره، ووسطه ، ويذكر عن أرض السراة، أنها سلسلة الجبال المتصلة المشرفة على عرفة، والتى تمتد جنوبًا إلى حواضر اليمن[٥]. ويشير بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل إلى أن تلك الجبال الممتدة من حواضر الحجاز الكبرى إلى حواضر اليمن يطلق عليها جبال السروات، وربما أطلق عليها الحجاز[٦]. ويبدو أن حدود جبال السروات، أو الحجاز، صارت مثار جدل واختلاف عند الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل، والذى يهمنا فى هذه الدراسة، أن بلاد السراة المعنية هنا، والمتقابلة مع الأجزاء التهامية الآنفة الذكر، عرفت باسم أرض السروات، ومفردها سراة، لأن هذه المنطقة يوجد بها سروات كثيرة، ومن أشهرها: - سراة الطائف ، يليها نحو الجنوب سراة فهم وعدوان، ثم سراة بنى سعد وبلحارث ، ثم سراة بنى مالك بجيلة، فسراة غامد وزهران، ثم سراة خثعم وشمران وبلقرن، فسراة الحجر (قبائل بنى عمرو، وبنى شهر ، وبللسمر، وبللحمر) ، يليها سراة عسير، التى كان يطلق عليها قديمًا (سراة عنز) ، ثم سراة قحطان ، وتعرف قديمًا بسراة (جنب) ، وتمتد أطرافها الجنوبية إلى بلاد نجران [٧]، وهذه السروات يسكنها العديد من القبائل والعشائر والأفخاذ ، ولازالت تنسب كل سراة إلى العشيرة التى تقطنها ، وإن كان معظم سكان تلك السروات يسكنون فى المرتفعات أو السروات التى تفصل بين الجزاء التهامية والنجدية، غير أن بعض الأفخاذ والعشائر كانت ترحل عن موطنها فى السروات ، وتنزل الأغوار التهامية فى الغرب، أو الأجزاء النجدية فى الشرق[٨].

وقد ضمت بلاد تهامة والسراة العديد من الظواهر التضاريسية ، والأقاليم المناخية، فالأغوار التهامية يغلب على أرضها الاستواء، لكنها لاتخلو من الجبال والهضاب والأودية الصغيرة والكبيرة. أما بلاد السراة فيظهر بها الجبال الشاهقة والمتوسطة الارتفاع ، إلى جانب الهضاب والوهاد المتفاوتة الارتفاع ، ويظهر على قمم جبال السراة أنها تنحدر بشكل كبير تجاه الغرب، وعند سفوحها الغربية يقل الانحدار تدريجيًا حتى تتصل بالسهول التهامية، أما انحدارها نحو الشرق فيظهر عليه التدرج نحو الهضاب الشرقية. ومن جبال السروات يظهر

العديد من الأودية المتحدر بعضها نحو الشرق، وبعضها الآخر نحو الغرب. ومن أهم الأودية المنحدرة نحو الشرق، أودية الطائف مثل: - وادى وج، وادى ليه، وادى السر، يليها إلى الجنوب وادى تربة، ثم وادى رنية، فوادى بيشة، ثم وادى تثليث، وغيرها أودية عديدة فى بلاد قحطان ونجران [٩].

أما الأودية الغوريه المتجهة من مرتفعات السراة تجاه الغرب، فمنها إلى الشمال نحو الجنوب: وادى نعمان حول مكة المكرمة ، ثم وادى ملكان ، ووواديا أدام ويلملم ، ثم وادى الليث، ثم أودية أخرى تأخذ مياهها من سراة غامد وزهران وخثعم مثل :- وادى الشواق، ثم أودية دوقة ، وقرماء ، والأحسبة ، ثم وادى حلى، وبعض روافد هذا الوادى تأتى من سراة الحجر، ثم وادى عتود الذى يسيل من بلاد قحطان (سراة جنب) ، ثم وادى بيض، فوادى بيش، وأخيراً واديا صبيا وجازان[١٠].

ويبدو على مناخ تهامة والسراة، أنه ممطر فى أغلب فترات العام، وتكون الحرارة شديدة صيفًا معتدلة شتاء، وخاصة فى الأجزاء التهامية. أما فى الجبال السروية، فالحرارة معتدلة نسبيًا فى الصيف، شديدة البرودة فى الشتاء. وهذا التنوع فى المناخ والتضاريس أثر على حياة السكان، فكثير منهم كانوا يشتغلون بالرعى، والصيد ، والجمع والالتقاط ، وخاصة أهل البوادى، وبعض ممن كان يعمل بالرعى كان أيضًا يعمل بالزراعة. ومن يدقق النظر فى بلاد تهامة والسراة يجد أن الأراضى الزراعية كثيرة بها، مع توفر المقومات الأساسية للحياة الزراعية أيضًا[١١] . أما الصناعات والحرف التقليدية والتجارية فكانت توجد بكثرة فى المراكز والتجمعات السكانية الكبيرة ، كما أن أهل البوادى والأرياف كانوا لايخلون من ممارسة هذه المهن من أجل سد حاجاتهم الذاتية[١٢].

ومعظم سكان تهامة والسراة من القبائل العربية القحطانية، إلا أنهم أيضًا يختلطون بعشائر وقبائل عربية عدنانية. وإلى جانب العرب كان يعيش فى هذه البلاد العديد من العناصر الأخرى مثل:- العبيد وجلهم من قارة أفريقية، وكذلك الموالى الفرس، والأتراك، ومعظم أعمالهم كانت فى المراكز الحضارية الكبرى مثل :- نجران، وجرش ، وبيشة، والطائف، والمخلاف السليمانى (جازان) وحلى وغيرها، وغالبًا ما كان يعملون فى الزراعة، والحرف الصناعية التقليدية ، والتجارة [١٣].

٣- اهتمام الحكام والولاة بالنشاط التجارى:

تأثر تاريخ وأحوال شبه الجزيرة العربية بتاريخ الدولة الإسلامية منذ بعث الرسول (ﷺ) وحتى ظهور الدولة العثمانية فى بداية العصر الحديث، وكان هذا التأثير يتفاوت من المدن الكبرى إلى المراكز والقرى والمواطن الصغرى، وبلاد تهامة والسراة تعد من المواقع الصغيرة إذا ما قارناها بحواضر الحجاز أو اليمن أو البحرين. ومعظم حكام العالم الإسلامى، خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة، كانوا يولون الحواضر الكبرى أهمية كبيرة من الناحية السياسية والحضارية، وتأتى الحجاز ، وخاصة المدن المقدسة فى مقدمة تلك الحواضر التى كانت محل اهتمامات الخلفاء والأمراء آنذاك. ويعد النبى محمد (ﷺ) ثم الخلفاء الراشدون من بعده (رضى الله عنهم) ، من أوائل من اهتم بالحجاز ثم باليمن ، فلو تابعنا سير أحداث التاريخ، وانتشار الإسلام فى شبه الجزيرة العربية لوجدنا أن سكان اليمن، وسكان تهامة والسراة كانوا فى مقدمة من اعتنق الإسلام، وقبائل الأوس والخزرج الأزدية ، ثم من جاء بعدهم من قبائل تهامة والسراة فى عصر الرسول (ﷺ) لأكبر دليل على ذلك [١٤].

وفى عهد الخلفاء الراشدين نجد الكثير من أهل تهامة والسراة. يتركون بلادهم، ويشاركون فى حركة الفتوحات الإسلامية [١٥]. ولم يحدث هذا إلا بالعناية التى أولاها الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدون من بعده لأهل تهامة والسراة. وكثير من الرسائل التى كان يبعثها الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدون إلى بعض الصحابة فى أرض تهامة والسراة، أو إلى بعض شيوخ القبائل والعشائر هناك، ويوضح لهم فيها ما يجب عليهم تجاه أنفسهم وأهليهم والناس [١٦].

واستمرت أرض الحجاز موضع اهتمام خلفاء الدولة الأموية، ثم الدولة العباسية. وبحكم قرب مكة المكرمة والطائف لبلاد تهامة والسراة، وكذلك موقع هذه البلاد بين الحجاز واليمن، فقد حظيت ببعض الاهتمام السياسى والحضارى من خلفاء بنى أمية، والخلفاء الأول من بنى العباس، حيث كانوا يرسلون من قبلهم إلى بلاد تهامة والسراة - وكذلك إلى اليمن والحجاز- من يتولى الإمارة ويرسى قواعد الأمن بها، وغالبًا ما كان والى مكة المكرمة يتولى الإمارة على أرض تهامة والسراة فيرسل من قبله العمال على مناطق عديدة بها مثل: نجران، وجرش، وتبالة ، وبيشة، وتربة، وحلى، وعشم ، والسرين، وضنكان، والمخلاف السليمانى وغيرها[١٧]، وكانَ أولئك العمال يتعاونون مع أعيان وشيوخ القبائل من أجل استقرار الأمن، وحماية الطرق والأسواق وأعراض وممتلكات المواطنين [١٨].

وتشير المصادر إلى مظاهر اهتمام الخلفاء والحكام عبر حقب التاريخ الإسلامى بالطرق التجارية المارة بأنحاء شبه الجزيرة العربية، لاسيما جنوبها الغربى، لكونها تخدم أغراضًا مختلفة ومتعددة يأتى على رأسها تسهيل وصول قافلة الحج اليمانى عبر أرض تهامة والسراة، وسير الجيوش من موقع إلى آخر للدفاع عن المدن والحصون، وتيسير وصول البريد من العاصمة إلى الولاة والنواب والعمال فى المدن المختلفة بهذه الأرجاء، وأيضًا حرصًا على خدمة التجارة سواء الداخلية منها أو الخارجية[١٩]. ومن بين هذه الاهتمامات ، عناية الخليفة الأموى هشام ابن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م) ببلاد السراة، فكان يرسل بعض ولاته ومعهم العديد من الموالى والعبيد لحراسة وحفظ مواطن المعادن فى بيشة وما حولها[٢٠]، كما كان يرسل رجال الحسبة للحفاظ على حركة التجارة بالأسواق المنتشرة فى أرض السراة[٢١]، إلى جانب جمعهم زكاة المال التى ترسل لبيت مال المسلمين [٢٢]. كذلك تشير مصادر أخرى إلى اهتمام الخليفة المهدى العباسى (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م) بالأراضى التهامية والسروية، وخاصة الطرق التجارية المارة بها إلى اليمن، فيذكر عنه أنه أمر بحماية وإصلاح الطريق الشرقى الذى يخرج من الطائف إلى صعدة عبر الأجزاء الشرقية لبلاد السراة، كما أمر بوضع محطات للبريد وعماله على تلك الطريق، وسعى إلى بناء وإصلاح المحطات التجارية الواقعة على الطريق الواصل من صنعاء عبر الطائف إلى مكة المكرمة ومنها إلى بغداد حاضرة بنى العباس[٢٣].

وتورد العديد من المصادر أن الاهتمام ببلاد تهامة والسراة لم يقتصر على خلفاء بنى أمية وبنى العباس وإنما امتد هذا الاهتمام أيضًا إلى صغار الأمراء وعبيد وموالى الخلفاء، حيث نجد ذكراً لخالصة مولاة الخليفة المهدى التى كانت تقتنى دوراً وعيونًا ومزارع فى الطائف ، وتربة، وبيشة بأرض السراة[٢٤]. ولعل الخليفة المهدى قد اهتم بأرض السراة لأن زوجته الخيزران قدمت فى الأساس من تلك البلاد ، فتذكر بعض الروايات أنها بيعت فى أسواق جرش (عسير حاليًا) ، ثم أخذت إلى مكة المكرمة، وأخيراً استقر بها المقام فى بغداد لتصبح زوجة للمهدى، وينجب منها الخليفتين الهادى (١٦٩-١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م)، والرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨م) [٢٥]. كما نلاحظ أيضًا اهتمامات كل من الخليفة الرشيد، وولده الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) ببلاد تهامة والسراة، حيث حرصا على بعث ولاتهما إليها وإلى بلاد اليمن كى يجبوا زكواتها، ويحافظوا على أسواقها، وعلى ضبط الأمن

بها[٢٦]. واستمر أمراء البرامكة على منهج خلفاء وأمراء بنى العباس ، من حيث الاهتمام بتلك المناطق ، فكانوا يرتادونها ويقتنون ببعض مراكزها الحضارية الدرر والبساتين ، حتى إننا وجدنا بعض كتب التراث أطلقت أسماء بعض رجالات البرامكة على بعض المواقع فى مكة، والطائف ، وبيشة، ونجران، وصعدة، وصنعاء [٢٧]، وهذا مما يدل على أن أرض السراة كانت موضع اهتمام عند خلفاء وأمراء بنى العباس الأول [٢٨].

وقد ترتب على ضعف الخلافة العباسية فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) أن ضعفت سيطرتها على الحجاز ، وعلى بقية شبه الجزيرة العربية، وأصبح أمراء الأشراف يتولون مقاليد الأمور فى الحجاز (مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف) ، وأحيانًا يمدون نفوذهم على أرض تهامة والسراة. وفى غالب الأحيان كان حكم هذه البلاد بيد شيوخ القبائل الذين كان الواحد منهم يمثل دولة مستقلة .

وقد ذكر ذلك كل من الرحالتين ناصر خسرو وابن المجاور ، فعند حديث ناصر خسرو عن بعض المراكز الحضارية الواقعة بتهامة والسراة مثل : - نجران ، وبيشة وغيرها ، أشار إلى أن بهذا الجزء قرى كثيرة ، وبوادى شاسعة ثم قال : « ... وفى كل بادية حاكم مستبد لايخضع لأية سلطة مركزية»[٢٩]، أما ابن المجاور فيذكر تعدد القرى فى أرض تهامة والسراة، ثم يقول: « ... ويحكم على كل قرية شيخ من مشايخها ، كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولايخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم»[٣٠]، ويتضح لنا من هذه الأقوال أن البنية الاجتماعية فى بلاد تهامة والسراة، خلال العصور الإسلامية الوسيطة، كانت تعتمد على القبيلة التى تعد الوحدة الرئيسة فى المجتمع ، ويعد شيخ القبيلة هو السيد الحاكم الذى لاينازعه أحد فى سلطانه، وهو الذى يعلن الحرب، وهو الذى يطفئها مع المشايخ الآخرين[٣١] . ولهذا فشيوخ القبائل فى بلاد تهامة والسراة، وفى غيرها من شبه الجزيرة العربية كانوا حتى بداية القرن العشرين يمثلون قوة عظمى على أفراد قبائلهم، فهم أصحاب الحل والعقد فيهم، ولهذا فمسئولية هؤلاء الشيوخ تمتد إلى كل مجالات الحياة فى القبيلة، فهم يسعون للحفاظ على أمن قبائلهم، وعلى سير الحياة الاجتماعية والاقتصادية لديهم. وهذا النفوذ الذى كانت تتمتع به القبائل ومشايخها ، خلال العهود الإسلامية الوسيطة، يؤكد على ضعف نفوذ الخلافة المركزية وتدهور اهتماماتها ببلاد تهامة والسراة. أما طبقات الأشراف بمكة المكرمة فكانوا على صلة بأهل تهامة والسراة، حتى إن بعضهم كانوا يمتلكون الدور والعقار

والمزارع فى مواطن مختلفة هناك، بل كانوا أيضًا على علاقة مصاهرة مع بعض مشائخ القبائل التهامية والسروية، ومثل هذه الصلات كانت ذات فائدة عظمى لهؤلاء الأشراف، لاسيما عند اندلاع الحرب بينهم على منصب الإمارة فى مكة المكرمة والطائف ، فلايتورع بعضهم من الاستجارة بأهل تهامة أو السراة، أو طلب النجدة العسكرية من أصهارهم هناك (٣٢).

٤- التجارة ومقوماتها فى أرض تهامة والسراة:

لاشك فى أن بلاد تهامة والسراة قد حباها الله بمقومات طبيعية وبشرية ساعدت على قيام نشاط تجارى متنام ومزدهر بها خلال الحقبة الوسيطة من عصر الإسلام . ومن أبرز المقومات الطبيعية ما يلى:-

أ- موقع بلاد تهامة والسراة الذى يربط بين منطقتى اليمن والحجاز، وهاتان المنطقتان ، كما أشارت بعض كتب التراث الإسلامى، من أفضل مناطق شبه الجزيرة العربية ، لتميز موقعها، وكثرة خيراتها وسلعها ، وتجارب سكانها التجارية (٣٣) ، ويكفى أن الله سبحانه وتعالى ذكر رحلات أهل مكة فى الشتاء والصيف ، وأن بلاد اليمن كانت إحدى الجهات الرئيسية التى كان القرشيون يذهبون إليها لممارسة تجاراتهم منذ عهود ما قبل الإسلام(٣٤). ومن المؤكد أن أرض تهامة والسراة كانت حلقة الوصل التى يسلكها القرشيون فى ذهابهم وإيابهم إلى اليمن (٣٥).

ب- اتساع بلاد تهامة والسراة فى الجهات الأربع، وإطلالها من الغرب على البحر الأحمر، ومن الشرق على صحارى نجد، ثم تنوع تضاريسها ، والظروف المناخية بها، جعلها تنوع فى نشاطاتها البشرية، وفى مواردها وخيراتها الطبيعية والاقتصادية ، وهذا مما أدى إلى ازدهار الحياة التجارية بها(٣٦).

ج- توفر وسائل النقل لدى سكان هذه البلاد، حيث كانت الجمال وسيلة النقل الرئيسة لديهم، كما كان الحال فى بلاد العرب، ومن ثم ازدهرت أهمية الجمال كأحدى وسائل النقل عند سكان السراة ، والسهول التهامية القريبة من شاطىء البحر الأحمر، فكانوا يحرصون على اقتناء الجمل كى يستخدموه فى نقل بضائعهم، ومحاصيلهم الزراعية ، وأمتعتهم الأخرى. ولوحظ أن البوادى عند سفوح جبال السراة من الشرق كانوا أكثر من يمتلك الجمال، فربما اقتنى الرجل الواحد منهم المائة والمائتين والخمسمائة والألف من الإبل ، وإلى جانب الجمال وجدت الحمير والبغال التى تستخدم لنقل البضائع والأغراض الخفيفة، بالإضافة إلى ركوبها فى التنقل من مكان لآخر(٣٧).

أما المقومات البشرية فتتركز في قوة ، وعزم الرجال، وهما صفتان مميزتان لرجال تهامة والسراة، علاوة على قوة صبرهم وتحملهم وقناعتهم، مما جعلهم يحرصون على كسب أرزاقهم من كدّهم، ومما أنعم الله عليهم من خيرات شتى علاوة على مهارتهم الفائقة في التجارة، وما يتصل بها من نشاطات سواء على مستوى المواطن التي عاشوا فيها، أو على مستوى المدن ، فازدهرت تجارتهم الداخلية منها والخارجية [٣٨].

٥- الطرق التجارية :

توافر لبلاد تهامة والسراة العديد من طرق التجارة البرية والبحرية ، ومن دراستنا لهذه الطرق ، يمكن القول بأن الطرق البرية لبلاد تهامة والسراة بعضها كان داخليا والبعض الآخر كان خارجيا.

فالطرق الداخلية هي التي تربط أجزاء البلاد الداخلية بعضها ببعض، وهي كثيرة جداً ، فلا تخلو مدينة أو قرية من طرق تربط بعضها ببعض، كما لاتوجد قبيلة أو عشيرة أو حتى منزل إلا ويربطه طريق، وأحيانًا طرق عدة تصله بقرى أو بيوت أخرى. ومن يتجول في بلاد تهامة والسراة ، ويلاحظ القرى القديمة، وموارد المياه ، ومواطن الرعي، أو الأراضي الزراعية ، يجد آثار العديد من الطرق القديمة التي كانت تستخدم سواء لمرور الناس ، أو لمرور المواشي والحيوانات عليها. كما سيشاهد طرقًا أخرى تربط أماكن التجمعات السكانية بالأسواق الأسبوعية، وتربط أيضًا الأجزاء السروية بالأراضي التهامية الغربية ، أو البوادي الشرقية . ويظهر على تلك الطرق صعوبة المسالك ، وذلك لصعوبة التضاريس ، وخاصة في المنحدرات الغربية لجبال السروات، حيث يوجد هناك العديد من العقاب التي يسلكها أهل البلاد في ذهابهم وإيابهم بين تهامة والسراة[٣٩].

أما الطرق الخارجية، فهي تلك الطرق التي تربط أجزاء تهامة والسراة بغيرها من المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية. ومن أهم تلك الطرق: الطريق الوصالة بين الحجاز واليمن عبر أرض تهامة والسراة، وأهمها:

١- الطريق الذي يربط صنعاء وصعدة ونجران وجرش وبيشة بالطائف ومكة المكرمة عبر الأجزاء الشرقية لجبال السروات ، وهذا الطريق كان مستخدمًا قبل الإسلام، فيذكر أن أبرهة الحبشي الذي خرج من اليمن إلى الحجاز عام (٥٧١م) ، بهدف هدم الكعبة ، اتخذه طريقًا له[٤٠]، كما سلكه من قبله تبان أسعد أبي كرب الملك الحميري الذي تروي كتب التاريخ القديمة

خبر وصوله إلى المدينتين المقدستين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)[٤١]، والسالك لهذا الطريق لازال يلاحظ آثار الإصلاحات القديمة بادية عليه كتذليل عقباته، وتبليط الخشن من أرضه ، ورصف بعض مجارى الأودية التى تعترضه . حيث جرت عادة الحكام منذ القدم، وطوال العصور الإسلامية الوسيطة، على تعمير الطرق وتعبيدها ، وإرساء بعض مظاهر العمران بين كل محطة أخرى، تتمثل فى إقامة الاستراحات والمساجد للمصلين، وآبار لمياه الشرب، وذلك ضمانًا لأمن وراحة المسافرين عبرها ، وتوفير للأغراض التى قد يحتاجها المسافر أثناء سفره عبر تلك الطرق والدروب [٤٢].

كما يلاحظ أيضًا وجود قبور بعض الذين سلكوا هذا الطريق وتوفوا ودفنوا عليه، ويستدل من النقوش الموجودة على هذه القبور أن هؤلاء المتوفين كانوا ينتمون إلى عصور مختلفة، فبعضهم توفوا فى الجاهلية، وبعضهم فى العصر الإسلامى. كما لازلنا نسمع السكان المقيمين حول تلك الطريق ينعتونها بـ (درب الفيل)، وأحيانًا بـ (درب أسعد الكامل) [٤٣].

ومنذ ظهور الإسلام ، أصبح هذا الطريق من الطرق الرئيسة، حيث نشطت الرحلة عبره فى العصور الإسلامية الأولى، فكان يسلكه الصحابة (رضوان الله عليهم) وهم ذاهبون آيبون من الحجاز إلى اليمن[٤٤]، كما كان يسلكه الحجاج والتجار وطلبة العلم، وبخاصة إبان فترتى الحكم الأموى والعباسى ، بدليل ورود ذكره كثيراً فى كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل ، من أمثال : ابن خرداذبة [٤٥]، وقدامة [٤٦]، والحربى[٤٧]، واليعقوبى [٤٨]، والهمدانى [٤٩]، والمقدسى [٥٠]، والإدريسى[٥١]، وجميع كتبهم أجمعت على أسماء أغلب المحطات التجارية الهامة الواقعة بين صعدة والطائف فى الأجزاء السروية، والتى تمر بها قوافل الحج والتجارة، مما يشير إلى كثرة استخدامها ، ولعل ذلك كان بحكم الصلة الوثيقة التى ربطت بين ولاة اليمن والخلافة العباسية ببغداد ، ولاسيما فى عصر القوة، ونعنى به العصر العباسى الأول [٥٢]. وقد آثرنا الاعتماد على كتاب الهمدانى (صفة جزيرة العرب)، لنذكر المحطات الواقعة على هذا الطريق ، والسبب الذى جعلنا نعتمد على الهمدانى دون غيره من المصادر السابق ذكرها ، والتى أشارت إلى هذا الطريق، هو معرفته القوية ببلاد شبه الجزيرة العربية، فلقد ولد وعاش أغلب حياته فى بلاد اليمن، ثم إنه سافر عدة مرات من حواضر اليمن إلى حواضر الحجاز ، بل كانت مهنته فى شبابه جمالاً يذهب مع التجار الذين كانوا يذهبون ويأتون ما بين الحجاز واليمن، فمن ثم كانت له معرفة جيدة بأحوال ومحطات وأطوال

الطريق الواصلة بين مدن الحجاز ومدن اليمن، والمارة ببلاد السراة ، إلى جانب أنه الجغرافى الوحيد الذى رسم لنا طول الطريق الجبلى الذى يأتى من صنعاء إلى الطائف ثم مكة المكرمة، فذكر المسافات بين كل مرحلة وأخرى بالأميال، ومثل هذه الأسباب تجعلنا فى عداد المنصفين إذا اعتمدنا على كتابه : صفة جزيرة العرب، فى ذكر محطات هذا الطريق[٥٣] ، مع العلم أننا لن ننسى ما ذكره الجغرافيون الآخرون عن رخاء بعض المحطات التى كانت على هذه الطريق .

ويشير الهمدانى إلى خروج الطريق الجبلى من صنعاء إلى صعدة مع ذكر الأطوال بين هاتين المدينتين، ثم يورد قوله : « من صعدة إلى العرقة اثنان وعشرون ميلاً، ومن العرقة إلى المهجرة اثنا عشر ميلاً ، ومن المهجرة إلى أرينب ثلاثة عشر ميلاً ، ومن أرينب إلى سروم الفيض أربعة عشر ميلاً ، ومن سروم الفيض إلى الثجة ستة ستة عشر ميلاً ، ومن الثجة إلى كتنة عشرون ميلاً، ومن كتنة إلى يبمبم عشرون ميلاً، ومن يبمبم إلى بنات حرب عشرون ميلاً ، ومن بنات حرب إلى الجسداء اثنان وعشرون ميلاً ، ومن الجسداء إلى بيشة أحد وعشرون ، ومن بيشة إلى تبالة أحد عشر ميلاً، ومن تبالة إلى القريحاء اثنان وعشرون ميلاً ، ومن القريحاء إلى كرى ستة عشر ميلاً، ومن كرى إلى تربة خمسة عشر ميلاً، ومن تربة إلى الصفن اثنان وعشرون ميلاً، ومن الصفن إلى الفتق ثلاثة وعشرون ميلاً »[٥٤].

أما طريق الساحل فلم يشر الهمدانى فيه إلى المسافات بين المحطات ، وإنما ذكر الطريق القادم من مدن اليمن الكبرى حتى بلد حكم فى جازان، ثم إلى الهجر ، فعثر ، فبيض، فزنيف، فضنكان ، فالمعقد، فحلى؛ فالجو، فالجوينية، فقنونا، ثم دوقة ، فالسرين، فالمعجر ، فالخيال، فيلملم، فملكان ، فمكة المكرمة[٥٥].

ويتحدث ابن خرداذبة ، وقدامة ، والإدريسى، عن الطريق السروية التى تربط بين الطائف شمالاً وحواضر اليمن الكبرى جنوبًا ، والتى كانت أنشط الطرق الواصلة بين الحجاز واليمن، فكانت تستخدمها الجيوش فى أثناء ذهابها وإيابها ما بين البلاد الحجازية واليمانية، بل كان يستخدمها التجار وموظفو الدولة، كالأمراء والقضاة ، والعلماء وجباة الزكاة وغيرهم، ولهذا فقد أشاروا إلى رخاء بعض المحطات التجارية التى كانت على طول الطريق، فابن خرداذبة أشار إلى أن الفتق وتربة قريتان كبيرتان، أما تبالة وبيشة فذكر أنهما مدينتان كبيرتان بهما من العيون والنخيل الشىء الكثير ، وأورد بيت شعر عن بيشة لحميد بن ثور الهلالى حيث يقول:

إذا شئت غنتنى بأجزاع بيشة ... إلى النخل من تثليث أو من يبمبا

وواصل حديثه عن الجسداء وذات حرب، وسروم راح التى أطلق عليها الهمدانى سروم الفيض ، والتى تقع إلى الشرق بثمانية أميال من جرش، فذكر تعدد الآبار بها، وأشار إلى أنها محطات تحتوى على قرى وسكان من عشائر مختلفة[٥٦].

ويورد لنا قدامة معلومات أكثر دقة من ابن خرداذبة حيث عدد الأماكن التى ذكرها الهمدانى ، وأعطى بعض الأوصاف الحضارية لبعض تلك المحطات فقال: «... ومن الفتق إلى تربة، وهى قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهى قرية خالصة مولاة المهدى، ومن تربة إلى صفر ، وهى منزل فيه داران لصاحب البريد فى الصحراء، وفيه ماء عذب من بئرين، ومن صفر إلى كرى، منزل فيه نخل وعين عذبة وليس إلاَّ منزل لصاحب البريد ، ومنزل القوافل، وهى فى بطن واد كثير النخل، ومن كرى إلى رنية، منزل فى صحراء ، ونخل وعين عظيمة عذبة، والعمران حولها ، ومن رنية إلى تبالة قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس ، وفيها منبر وعيون وآبار، ومن تبالة إلى بيشة، قرية عظيمة كثيرة الأهل فى بطن الوادى، ظاهرة الماء من عيون وآبار، مضرية قيسية ، ومن بيشة إلى الجسداء ، قرية عظيمة ، منزل أعراب من قيس، ومن جسداء إلى بنات حرب قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع، ومن بنات حرب إلى يبمبم جرش نحو أربعة عشر ميلاً، ومنه على كثبة «قرية عظيمة، ومنازل وقصور وآبار فى صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال ، ومن كثبة إلى الثجة موضع البريد ، وفيه بئر ماء ينزله القوافل، وهو فى بلاد زبيد، وحوله أعرابهم، ومن الثجة إلى سروم راح، وهى قرية عظيمة فى صحراء فيها عيون كثيرة الكروم، فيها فخذ من همدان يقال لهم جنب، ومن سروم راح إلى المهجرة ، وهى قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل ، وفيما بينها وبين سروم راح شجرة تسمى طلحة الملك[٥٧] وهذه الشجرة حد ما بين اليمن والحجاز، وهى شجرة تشبه الغرب... ومن المهجرة إلى العرقة وهى أول عمل اليمن ، وهى إلى عمل صعدة[٥٨]. ويتعرض الإدريسى للطريق والمحطات التى ذكرها الهمدانى ، وابن خرداذبة ، وقدامة، ويتفق مع قدامة فيما ذكر عن شجرة (طلحة الملك) التى قيل كانت الحد بين الحجاز واليمن، ويضيف معلومات أكثر عن مدينتى تبالة وبيشة ، فيذكر تبالة وما بها من عيون كثيرة ومزارع ، ثم يقول: «وهى صغيرة فى منخفض أكمة»، أما بيشة فهى أيضًا مدينة صغيرة متحضرة جيدة المساكن حسنة البقعة، وبها ماء ونخل كثير[٥٩].

وقد أطلق على هذا الطريق الواصل بين اليمن والحجاز عدة أسماء منها: الطريق الجبلى بحكم أنه يصعد إلى الجبال مخترقًا السلسلة الوسطى من جبال اليمن طولاً، ويسير من عدن إلى ذمار، وصنعاء، وصعدة، وبيشة، ومنها إلى الطائف ... إلخ [٦٠]. كذلك أطلق عليها طريق السلطان، أو الجادة السلطانية، لكونها الطريق الرئيس الذى كان محل اهتمامات خلفاء المسلمين الأول، وبخاصة فى العصر العباسى الأول، حيث دأبت الجيوش ورجالات الدولة، وكذلك طلاب العلم، وقوافل التجارة على عبوره فى أسفارهم إلى الحجاز وغيرها[٦١].

٢- وإلى الغرب من الطريق السابقة، وعبر بلاد السراة، يأتى طريق آخر، وتخرج من بلاد قحطان (سراة جنب)، ثم أجزاء من شهران وعسير شمالاً (مخلاف جرش قديمًا) [٦٢]، ثم سراة الحجر، فسراة غامد وزهران حتى تصل الطائف ومكة المكرمة فى الحجاز[٦٣]. وهذه الطريق تأتى عبر قمم جبال السروات، ويطلق عليها سكان السروات «طريق الحجاج» أو «محمل الجبال»، ويشير إليها أحد الدارسين المعاصرين فيذكر أن هذه الطريق تعد من حلقات الاتصال بين اليمن والسراة ثم الحجاز فى قديم الزمان وحديثه، ثم يقول: «... **وأنا أذكر جحافل هذا الطريق مسلكا، وأعرف أن بعضه كان لايزال مرصوفا بالحجارة ليسهل السير فيه...**» [٦٤]. وهذه الطريق لازالت آثارها ماثلة للعيان، بل لازال كبار السن فى هذه البلاد يذكرون حزونها ومسالكها، بل يتذكرون بعض الجيوش العثمانية التى كانت تسلكها فى الذهاب والإياب ما بين اليمن والحجاز خلال القرون الماضية المتأخرة [٦٥]. ونجد «جادة السلطان»، وكيفية خروجها من بلاد اليمن عبر جبال السروات، ولكن فى بلاد قحطان (سراة جنب)، وبلاد عسير (سراة عنز) يتم تفرعها إلى ثلاث طرق هى: طريق السلطان الذى فصلنا الحديث عنه، ويأتى عبر بيشة وتبالة، وتربة، حتى الطائف ومكة المكرمة. وطريق آخر من شمال أبها، حاضرة عسير، عبر عقبة تيه الساحل. والطريق الثالث، هى طريق الحاج عبر جبال السروات [٦٦]. ويقول الحجرى فى هذا الطريق «... **ومن جبال عسير طريق حاج اليمن من جهة صعدة، يخرجون بلاد الحرجة من سنحان، ثم الوقشة من بلاد عبيدة، ثم درب سلمان بعبيدة، ثم درب العقدة لرفيدة، ثم ذهبان بلاد ابن مشيط، ثم شهران شرقى أبها على نحو ثلاث ساعات، ثم المجزعة من شهران ... ومن يريد طريق ساحل تهامة، فمن رأس عقبة تيه، ثم وادى بعرور، وهو واد ضيق على مسيرة (١٨) ساعة من الشرق إلى الغرب، ومنه يخرجون إلى سبت محائل. وأما محمل الجبال فيمرون من المجزعة إلى الحمراء ما بين بللسمر وبللحمر، ثم المضفاه، ثم ساق الغراب، ثم تنومة، ثم النماص من بلاد بنى شهر، ثم غامد إلى رغدان**»[٦٧].

وحلقة الوصل بين مرتفعات بلاد السراة، والأغوار التهامية، العديد من المنافذ التى تخترق السروات عبر المنحدرات الغربية حتى تصل سهول تهامة. وهذه المعابر الطبيعية يطلق عليها عقاب، ومفردها عقبة ، وهى كثيرة جداً ، فيوجد لكل عشيرة أو قبيلة فى الجبال السروات من اليمن إلى الحجاز عقبة تصل بين الأجزاء السروية والتهامية، ومن يدقق النظر فى كتب التراث المبكرة، فانه لايجد أحداً دون شيئًا عن هذه العقاب ، وليس لأنها غير موجودة ، لكن أصحاب المدونات المبكرة لم يتوغلوا فى أعماق جبال السروات، وفى معرفة أحوال منحدراتها الغربية، والسبب فى ذلك يعود إلى صعوبة تضاريسها ، وربما إلى فقدان الأمن بها فى العصور الإسلامية الوسيطة، وخاصة أن سكانها يتميزون بالقوة، وصعوبة المراس، وعدم قبول أى غريب يدخل بلادهم. وقد وجدنا كلاً من المقدسى، وناصر خسرو، وابن المجاور يتفقون على صعوبة تضاريس بلاد السراة، وانغلاق أهلها على أنفسهم، وخصوصًا من يعيش منهم فى قمم السروات، أو فى منحدراتها الغربية [٦٨]، ولكن تلك المنافذ كانت متواجدة بكثرة عبر جبال السروات، وجزمنا بهذا القول يعود إلى عدة أسباب منها:

أ- أن من يدرس التقسيمات البشرية لسكان تهامة والسراة يجد العديد من العشائر والأفخاذ فى جبال السروات لها فروع ، وفخوذ فى الأغوار التهامية، بل يجد بينها العديد من الأحلاف والصلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والوطيدة. وهذا مما يؤكد على حركة تنقلات وهجرات ما بين السراة وتهامة ، ولايتم ذلك إلاَّ من خلال تلك المنافذ الضيقة بين السروات والأغوار التهامية[٦٩].

ب- إننى فى جولاتى وتنقلاتى فى بلاد تهامة والسراة خلال الثلاثين سنة الماضية، وعبورى بعضًا من تلك العقاب التى تربط هذه الأجزاء ، وجدت عدداً من النقوش، والآثار الواضحة للعيان تؤكد على أنها كانت، بل ومازال بعضها مستخدمًا حتى اليوم. وقد وجدت هذه النقوش على قبور أشخاص سلكوا هذا الطريق، وربما الجوع، أو المرض، أو الوحوش المفترسة كانت سبب موت أولئك الأفراد[٧٠].

ج- أثبتت الوثائق والدراسات الخاصة بالتاريخ الحديث أن كثيراً من الجيوش وقوات الأشراف فى مكة المكرمة ، أو الجيوش العثمانية فى اليمن، أو الحجاز، أو السروات كانت تسلك بعض العقاب التى تصل ما بين السراة وتهامة، وذلك بهدف عبورها لمحاربة بعض القبائل فى هذه البلاد، وأحيانا لسرعة الوصول ما بين الحجاز واليمن فى حالة طلب الإمدادات من طرف لآخر[٧١].

ومن أهم تلك العقاب ، وخاصة التي وردت في بعض المصادر والمراجع المتأخرة، عقاب:- ضلع ، ورجم، وتيه في سراة عسير ، وحظوة ، وساقين، وسنان ، وتلاع في سروات الحجر، والأبناء ، والمخواة، وبني سعد في سروات غامد وزهران وما يليها شمالاً من سروات أخرى(٧٢).

والثابت أن هذه العقاب مثلها مثل الطرق الداخلية أو الخارجية التي تربط بين اليمن والحجاز ، عبر بلاد السراة، حيث كانت تستخدم في تيسير مرور حركة الجيوش، والحجاج والتجار وغيرها من المنافع الأخرى.

٣- الطريق البرية عبر تهامة ، فقد أشار الهمداني إلى طريق الساحل ، أو طريق تهامة، والذي يبدأ مساره من عدن باليمن إلى مكة المكرمة، ويصل حتى جدة، ونلاحظ أن الهمداني لم يفصل لنا مسافات هذا الطريق وطوله بالأميال ، كما فعل في حديثه السابق عن طريق السلطان في بلاد السراة، وإنما اكتفى بأن ذكر امتداد هذا الطريق بمحاذاة الساحل مباشرة ابتداء من عدن إلى باب المندب ، ثم أشار إلى أغلب المحطات التي تقع بين مدن اليمن الكبرى، وبلد حكم في جازان، ثم استمر يذكر تلك المحطات حتى مكة المكرمة ، فذكر بعد جازان : المهجر ، فعثر ، فبيض ، فزنيف ، فضنكان، فالمعقد ، فحلي، فالجو، فالجونبية، فقنونا، ثم دوقة، فالسرين، حيث يلتقي عندها الطريق الساحلية، موضوع الحديث ، بالطريق الأوسط أو السلطانية ، ومن عندها يعودان للافتراق ، فيتجه طريق الجادة إلى مكة عبر المعجر ، فالخيال، فيلملم، فملكان، فمكة المكرمة . بينما يتجه الطريق الساحلي إلى جدة، وكانت رحلة القوافل على هذه الطرق من عدن إلى مكة تستغرق في هذه الفترة نحو الشهر(٧٣).

وقد نوه العديد من الرحالة والجغرافيين الأوائل بالإضافة إلى الهمداني إلى أهمية طرق تهامة التي تربط بين اليمن والحجاز، كما أوضحنا ، فبينوا لنا اعتماد سكان تلك المناطق والحجاج والتجار الوافدين من اليمن إلى الحجاز عبر بلاد تهامة والسراة على هذه الطرق التهامية، ومن أولئك الرحالة عمارة اليمني الذي فصل الحديث عن هذا الطريق فقال : «أما **طريق تهامه فهي تفترق إلى طريقين - فواحدة ساحلية على البحر، وواحدة هي الجادة السلطانية ، متوسطة منها إلى البحر يوم أودونه، وفيها إلى الجبال يوم أودونه بحسب انضمام البحر والجبل وافتراقهما عند تهامة، وفي كل مرحلة من الطريقين الساحلية والوسطى جامع**

عظيم، فمن الساحلية :- الشرجة، ثم المعجر فالقنديرة، ثم عثر ، وهى مقر ملك قديم ، ثم بيض ، ثم الدويمة، ثم حمضة، ثم ذهبان ، ثم حلى، فالسرين»[٧٤] إلى أن يصل الطريق إلى جدة[٧٥].

ثم يأتى على ذكر محطات الطريق الوسطى، أو الجادة السلطانية ، فيذكر جيزان، والساعد وتعشر، والمبنى، ورياح، والهجر، ثم تلتقى طريق الجادة بالساحلية، ويفترقان من السرين، وبينهما وبين مكة خمسة أيام، فأول ما يلقى الحاج من عمارته بئر الرياضة ، ثم سبخة الغراب، ثم الخبت ، ثم يرد الناس وادى يلملم ، وهو ميقات أهل اليمن... ثم يردون بئراً من عمارته يقالها لها أدام، ثم يفترق الناس فمن أراد مكة ورد من عمارته ببئر البيضاء ، ثم القرين ، ثم مكة، ومن أراد عرفات ورد من عمارته بئر بوادى الرحم، ثم نعمان ، ثم عرفات[٧٦].

ويذكر أبو إسحاق الحربى فى كتب المناسك تلك الطريق التهامية بين اليمن والحجاز ، فيقول : «... من الخصوف إلى جازان، ومن جازان إلى بيش ، ومن بيش إلى عثر ومن عثر إلى ضنكان ، ومن ضنكان إلى حلى، ومن حلى إلى بيض، ومن بيض إلى وادى المقل، ومن وادى المقل إلى وادى دوقة، ومن وادى دوقة إلى السرين، ومن السرين إلى وادى السباع إلى الليث، ومن الليث إلى مركوب ومن مركوب إلى يلملم ثم إلى ملكان ومنها إلى مكة»[٧٧]. وقد أشار أحمد الزيلعى فى دراسة له عن وادى حلى فذكر وقوع خطأ فى هذه الرواية التى أوردها الحربى حيث ذكر واديا بيض والمقل يقعان بعد وادى حلى، مع أن هذين الوادين يقعان إلى الجنوب من حلى بمسافة كبيرة، ثم يواصل الزيلعى حديثه فيذكر أن أحد نساخ كتاب الحربى عمل على تصحيح هذا الخطأ، وكان تصحيحه من كتاب السلوك للجندى، وذكره محقق كتاب الحربى حمد الجاسر بعنوان : «ومن طريق تهامة خبر فى الحاشية » وهو حديث أبى سعيد الجندى، وفيه يقول: « إن من أراد طريق زبيد أخذ من مكة إلى ادام ، ومن ادام إلى مركوب، ومن مركوب إلى الليث، ومن الليث إلى عليب ، ثم القرما ، ثم قنونا ، ثم إلى حلى، ثم إلى المعقد، ثم إلى ضنكان ، ثم إلى زنيف ، ثم إلى بيض ، ثم إلى حاوى، ثم إلى العرش، ثم إلى جازان »[٧٨].

٤- ويضاف إلى الطريقين اللتين سبق ذكرهما فى تهامة، طريق ثالثة، سبق الإشارة إليها عند حديثنا عن طريق أهل السراة، وهذه الطريق تأتى عن طريق جبال السراة حتى تصبح شمال

أبها ، ثم تنحدر من عقبة تيه إلى تهامة ، ويقول الحجرى عن هذه الطريق : «ومن يريد طريق ساحل تهامة، فمن رأس عقبة تيه، ثم وادى بعرور، وهو وادٍ ضيق على مسيرة (١٨) ساعة من الشرق إلى الغرب، ومنه يخرجون إلى سبت محائل...»[٧٩].

ومما يؤكد أيضًا أهمية هذه الطرق البرية، ولاسيما فى رحلة الحج، تناولها من قبل عدد من الأدباء فى أراجيز نظمية معروفة تلقى بدورها الضوء على محطات هذه الطرق وتتابعها ، ومن أشهر هؤلاء الأدباء: أحمد بن موسى الرادعى (...- ٢٨٠هـ)، ومحمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩-١١٨٢هـ) ، وابن إسحاق الصنعانى (١١٩١-١٢٦٦هـ) ، وعلى بن الحسن العجيلى التهامى (١٢١٧-١٢٧٥هـ) وغيرهم ، ومما قاله ابن اسحاق:

كان خروجنا من الأوطان لقصد بيت الواحد المنان

يوم الخميس وهو من شوال إحدى وعشرين بلا مقال

* * *

وبعد سرنا إلى يلملم ميقاتنا فى قصدنا للحرم

وهو يسمى الآن بالسعدية باسم بئر عذبة هنية[٨٠]

وقال العجيلى:

صحبت المدلجين بخبت سعيا وفى وادى يلملم إذا أهلوا[٨١]

ولم تكن أحاسيس الأدباء التهاميين هينة تجاه الحج، وطرقه ، ولامكة المكرمة ومشاعرها ، بل تزداد هذه العواطف كلما أهل الموسم، وهم الأهلون بالرحلة إلى بيت الله، هناك تفيض المشاعر، وتهيج الأشواق، يقول عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم البرعى (...- ٨٠٣هـ) فى هذا الشأن :

أمن نيابتى برع تقيم وقد رحل الأحبة يانديم

ومالك والتخلف عن فريق متى رحلوا حللن بك الهموم

طوت بهم المراحل فى الفيافى قلائص تذرع الفلوات كوم

فلعسان فسردد ثم مور فحيران لهن به رسيم

إلى حرض إلى خلب تراءت إلى جازان جازت وهى هيم

ومـرت فى ربا ضـمـد وصـبـيا ولؤلؤة[٨٢] وغـوان تهـيــــم

وذهبــان وفـى عـمــق وحلـــى تـســاورها المفــاوز والرســوم

وفى يبـه وفى كنفى قنونـــــا سـرت والليـل مـعـتكر بهـيم

فدوقة فالرياضة ما استمرت بجنب الحفر بطريها النسيم

إلى المقيـات ظلت خائضــــات غـمـار الآل يلحـقـهـا السـمـوم

وبـاتت عـندمـــا وردت إذا مـــا تحـن فـــلاتنــــام ولاتنيـــم

وفى أم القرى قـرت عيــــون عشية لاح زمزم والحطيم[٢٤]

وهذه الطرق التى ذكرت عند المتقدمين لازالت آثارها باقيـة فى كثيـر من المواطن مـاثلة للعيـان حتى اليوم، بل لازال هناك كثير من النقوش والكتـابات والرسوم التى تثبت مرور العديد من التجار والحجاج وغيرهم عبر تلك الطرق. وقد رجعنا إلى بعض الدراسات الحديثة المهتـمـة بالآثار والنقوش على مـحطات الطرق السـاحليـة، والتى تذكـر أسـمـاء العـديد من الأشخاص الذين وافتهم المنية على تلك الطرق، وهم فى ذهابهم وإيابهم إلى اليمن أو الحجاز ، ووجدنا بعض النقـوش توضح بما لايدع مـجالاً للشك السـبب والزمن الذى كـتـبت فـيـه تلك النقوش، أو الكتابات وكثير منها كان فى العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة[٨٤]. كما لوحظ أن هذه الطرق قد استـخدمت أيضًا أثناء التاريخ الحديث والمعاصر من قبل الجيوش العثمانيـة التى كـانت تذهب من الحجـاز إلى اليـمن، أو العكس فـبعض رحـالة العـصـر الحديث يذكـرون مـشاهداتهم على الطريق الواصل من مكة إلى منطقة عـسير (سراة عنز قديمًا) [٨٥]، وهذا هو شرف بن عبد المحسن البركاتى صاحب كتاب : «الرحلة اليمانية»، الذى قدم مع حملة الشريف حسين بن على من مكة إلى منطقة عسير عام (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) ، وقد رصد أثناء الرحلة أهم المواطن التى على طول الطريق من مكة المكرمة حتى تهامة سراة الحجر، ثم صعد مع عقبة ساقين التى تطل على تنومـة فى السراة، ومن هناك واصل طريقه عبر قمم جبال السروات حتى تطل عـلى تنومـة فى الـسـراة، ومن هناك واصـل طريقـه عـبـر قـمم جبـال السـروات حتى دخل مخلاف جرش (منطقة عسـير الحـالية) ، واستقر فى حاضرتها مدينة أبها [٨٦]. ويلاحظ على رحلة البـركـاتى أنـه كرر ذكـر أغلب المواطن التى ذكـرها كل من الهـمدانى، والحربى، وعـمـارة اليـمنى، والحـجـرى ، ومن أهم تلك المواطن : الليث ، ودوقـة ، وقنونا ، وبـارق ، ومـحـائل،

وجميع هذه الأماكن تقع فى تهامة. أما فى السراة فذكر أجزاء من سروات الحجر فى بلاد بنى شهر ، وبللسمر، وبللحمر حتى بلغ أبها(٨٧).

كذلك يعد الطريق البحرى أحد أهم وسائل الاتصال بين بلاد تهامة والسراة، وبين العالم الخارجى، فوجود الأجزاء التهامية على ساحل البحر الأحمر، وفر لها منافذ عدة ربطتها بقارات العالم القديمة (أفريقيا ، وأوربا، وآسيا) ، ويعد البحر الأحمر أحد الشرايين المائية الهامة التى كانت تصل بلاد أوربا بأقصى الشرق، على مدار العصور التاريخية، حتى إن مختلف المصادر أجمعت على هذه الأهمية، وبصفة خاصة فى فترة صدر الإسلام وعصر بنى أمية. وتعد هذه الطريق من أهم الطرق البحرية التجارية، فحكام بنى أمية قد أولوه كثيراً من الاهتمام فشجعوا سير التجارة فيه، وسعوا إلى حمايته من كل ما يهدد أمنه (٨٨). وفى عصر بنى العباس تراجع نشاط هذا الطريق البحرى بسبب تحول اهتمام خلفاء بنى العباس إلى الخليج العربى، والسعى إلى محاربة قبائل الجزيرة العربية اقتصاديًا عندما كانوا يسعون إلى الوقوف فى وجه الخلافة العباسية، والانضمام إلى بعض أعدائهم مثلما حدث مع العلويين فى عصر الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ / ٧٥٣-٧٧٤م) (٨٩).

ولكن عاد طريق البحر الأحمر إلى مكانته السابقة، وحاز ذات الاهتمام السابق وذلك بعد ضعف الخلافة العباسية، وظهور العديد من الدويلات فى العالم الإسلامى، واستقلال الأشراف بالحجاز، بل تصاعدت أهمية هذا الطريق ، حتى أصبح طريقًا عالميًا لفت نظر القوى الأجنبية كالبرتغاليين، والأسبان ، والهولنديين ، ثم الإنجليز، وصار طريقًا حيويًا لهم يمكن استخدامه للوصول إلى الشرق، ويساعدهم أيضًا على الاستفادة من ثروات البلاد الواقعة على هذا البحر(٩٠) . ومن خلال تفنيد هذه الحقائق التاريخية يمكن القول بأن بلاد تهامة والسراة قد تأثرت كثيراً بهذا الشريان البحرى، كطريق تجارى مثلما تأثرت بحركات المرور، والتنقل التى قامت بها شعوب كثيرة على مر العصور، وهذا التأثير ربما كان سلبًا أو إيجابًا لأن الأجزاء التهامية لها العديد من الموانئ المطلة على البحر، ومن تلك الموانئ: ميناء الشعيبة ، الذى ذاع صيته منذ العصر الجاهلى ، ولكن قلت أهمية هذا الميناء فى عصر الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضى الله عنه) بعد تشييد ميناء جدة فى عام ٢٦هـ / ٦٤٦م، الذى أصبح بعد ذلك واحداً من أهم المراسئ العالمية فى أواخر العصور الإسلامية الوسيطة (٩١). يليه إلى الجنوب ميناء القنفذة، وكان من الموانئ القديمة، لكن لم يظهر ميناءً هامًا إلاّ فى أواخر العصر

الإسلامى الوسيط [٩٢]. ويأتى إلى الجنوب موانئ أخرى مثل : السرين، والبرك، وحلى والقحمة، وجازان ، والموسم. وكل هذه الموانئ كانت معروفة منذ صدر الإسلام، وبعضها من العهد الجاهلى. وكثير من كتب التراث أشارت إلى أهمية هذه الموانئ ونشاطها التجارى خلال العهود الإسلامية الوسيطة، وأكدت أن أهل تهامة والسراة قد استخدموها لتصدير منتجاتهم التى كانت تصدر لهم من الهند والصين وعدن وبعض بلدان أفريقيا وأوربا[٩٣]. ومما ساعد على تزايد حركة التجارة أيضًا من خلال هذه الموانئ أنها كانت تتصل بالموانئ التى على الطرف الآخر من البحر الأحمر من جهة القارة الأفريقية[٩٤]، وكذلك بالطريق التى تصل مصر بالبحر المتوسط حتى تصل إلى أوروبا، وكذلك بالطريق التى تصل الهند والصين فى أقصى الشرق[٩٥].

٦- أهم المراكز التجارية فى تهامة والسراة:

اشتهرت عدة مراكز ومدن فى تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة بالنشاط التجارى، الأمر الذى ساعد على توثيق العلاقات بينها وبين عدد من المناطق المحيطة بها كاليمن والحجاز ومدنها المتعددة ، فارتبطت معها بوشائج تجارية مما ساعد على زيادة مكانة التجار فى مجتمع بلاد تهامة والسراة من جهة ، ومن جهة أخرى ساعد على إنماء الموادر المالية لهذه الجهات ، وتنوع النشاطات البشرية، علاوة على زيادة الكثافة السكانية بتلك الجهات، ومن ثم إلى ازدهارها الحضارى[٩٦].

وقد ورد ذكر هذه الأجزاء التهامية فى العديد من المدونات وكتب التراث، فنجد عاكشًا الضمدى يتحدث عن سكان المخلاف السليمانى فيذكر أنهم قبائل كثيرون، وأنسابهم صحيحة ما بين عدنانية وقحطانية ، وأغلبهم من قحطان ، وفيهم من المروءة ، والنجدة، والشجاعة، والكرم ما ليس فى غيرهم[٩٧]. وفى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) يذكر الحسن بن أحمد الهمدانى فى كتابه : «صفة جزيرة العرب» العديد من المواطن والمراكز الهامة فى بلاد تهامة فيقول : وبيلد حكم قرى كثيرة مثل : العداية والركوبة ، والمخارف ، والقليق . وبها :- وادى حرض ، وحيران ، وجدلان، ووادي بنى عيس، ووادى الحيد، ووادى تعشر، ووادى جحفان، ووادى لية ، ووادى خلب .. وضمد، وجازان ، وصبيا »[٩٨] ، ويواصل الهمدانى حديثه قائلاً : «ثم مخلاف عثر، وعثر ساحل جليل، ومدينة بيش، وحصبة أبراق، وفيه من الأودية:- الأمان، ووادى بيش، ووادى عتود، ووادى بيض ، ووادى ريم، ووادى عرمرم...»[٩٩] ، ثم

يتجه نحو الشمال معدداً بعض المواطن فيقول : «... ثم بلد حرام من كنانة، وهو وادى أتمه وضنكان ، وهو معدن غزير .. والحرة حرة كنانة ، والمعقد، وحلى ، وهو مخلاف ، وقصبتها الصحارى موضع رؤساء بنى حرام، والجو، ووادى تلومة، ووادى الفراسة، والجونية، ووادى المحرم، ودعنج ، وعشم معدن، وحلى العليا والسرين ساحل كنانة هو وحمضة، والليث، ومركوب واديان فيهما عيون... »(١٠٠).

وعلى هذا النحو عدد لنا «لسان اليمن» الكثير من المواطن التجارية والمراكز الحضارية التى تكتنف منطقة تهامة فى عصره، ويلاحظ أنه رغم ذكره للعديد من هذه المواطن ، فانه لم يأت على كل المراكز الكبرى فى تهامة، علاوة على عدم إمدادنا ، وهو الذى تجول وعاش بين بوادى وحواضر هذه المنطقة ، بتفصيلات دقيقة عن بعض الجوانب الحضارية التى اشتهرت بها تلك النواحى، وفى هذه الدراسة لانستطيع أن أن نورد كل التفصيلات عن كل بلدة، أو مدينة، أو قرية فى تلك الأجزاء، وإنما سنحاول ذكر أكبر المراكز الحضارية التجارية التى وردت الإشارة إليها فى كتب التراث الإسلامى خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. ومن تلك المواطن : مدينة أبوعريش، وبلدة بيش، ومدينة عثر، والبرك ، وقنونا ، والسرين، وعشم، وحلى.

فمدينة أبوعريش تأتى إلى الشرق من مدينة جازان فى يومنا الحالى، وقد ذكرها كل من اليعقوبى والهمدانى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) فعدد اليعقوبى مراحل الطريق بين مكة المكرمة وصنعاء فقال : «وبه المعقر ، وضنكان، وزنيف ، وريم ، وبيش ، والعرش من جازان»(١٠١) وقال الهمدانى فى ذكر مراحل تلك الطريق «... ثم الشرجة ، ثم العرش ، ثم عثر »(١٠٢) ويأتى ذكرها أيضًا عند يحيى بن الحسن فى كتابه » غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمنى» عندما تحدث عن أحداث عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م(١٠٣).

ويعد الحسن بن أحمد عاكش أفضل المؤرخين فى ذكر مدينة أبى عريش فيقول «وأبو عريش هذا أول من اختط ببقعته مسكنًا جد بنى الحكمى، وكان جدهم رجلاً صالحًا له يد فى الطريقة فبنى عريشًا هناك، وكان يقصده الناس من كل ناحية لما هو عليه من الفضل، فلذا يسمى أبو عريش، وزمن اختطاطه قديم أظنه فى القرن السابع»(١٠٤).

وهناك بعض شعراء القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) الذين ذكروا «أبوعريش» فى شعر ، فها هو عبد الرزاق اليمنى يقول:

عج بوادى الهضاب فى الأسحار وترنم هناك بالأوتار

بربى أبى عريش حيث (الغوانى) مايسات الحجول والأسوار

الصبًا والصبٍّا بها يا معنى وطلوع البدور والأقمار

ليت شعرى أكون فيها دوامًا أتمشى فى حلة الجلنار (١٠٥)

وبلدة بيش وردت فى كتابى اليعقوبى والهمدانى، فذكرها الأول على الطريق بين مكة واليمن، ثم أشار إلى أن أهلها الأزد (١٠٦)، أما الهمدانى فذكر أن بها موالى قريش وساحلها مدينة عشر، وذكر فى مكان آخر من كتابه قول الشاعر أبى الحياش الحجرى:

فقرى بيش فالدويات فالبرك فحلى ممطورة غيناء (١٠٧).

أما مدينة عشر، فكانت إحدى المدن الهامة فى بلاد تهامة خلال القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وأن مالكها آنذاك هو سليمان بن طرف الحكمى الذى ضرب العملة باسمه ووحد بينها وبين مخلاف حكم تحت مسمى «المخلاف السليمانى»، وأن حجم إمارته التى كانت عشر عاصمة لها آنذاك تقدر بمسيرة سبعة أيام فى الطول، ويومين فى العرض، فكانت من بلدة الشرجة جنوبًا إلى مدينة حلى شمالاً، ويصل خراجها فى السنة خمسمائة ألف دينار عثرية (١٠٨).

وبلدة البرك كانت من المواطن المشهورة فى تهامة ، وذلك لمكانتها السياسية والاقتصادية، فلقد عمرها بعض الولاة فى العصور الإسلامية الوسطى، وتقع بين ذهبان وحلى، كما تقع على ساحل البحر الأحمر من ناحية تهامة عسير، وفيها ترسو السفن، وهى بين ميناء حلى بن يعقوب من الشمال، وميناء القحمة من الجنوب، وقد سميت باسم البرك ابن وبرة بن يعلى بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعه (١٠٩). وهذه المدينة وإن كانت معروفة خلال القرون الإسلامية الأولى، ثم زادت شهرتها منذ القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وذلك فى عهد المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) ، الذى تذكر بعض الروايات التاريخية أنه اهتم بها فأمر بعمارتها وتحصينها ، كما رتب الجنود على جبل البرك لحماية النشاط التجارى كأحد الموانئ الهامة على البحر الأحمر (١١٠).

وقنونا أحد المواقع التجارية والحضارية فى تهامة، فقد ورد ذكرها عند الهمدانى كأحدى المحطات الواقعة على الطريق الواصل بين مكة واليمن (١١١)،كما أنها كانت معروفة كموقع

تجارى هام قريب من سوق حباشة الذى عرف فى الجاهلية والإسلام، حيث يقول الأزرقى عن هذا السوق وقربه من قنونا : «وحباشة سوق الأزد، وهى فى ديار الأوصام من بارق، من صدر قنونا وحلى ...» وهى من مكة على ست ليال، وهو آخر سوق خربت» [١١٢].

أما مدينة السرين فكانت أحد الموانئ الهامة على ساحل البحر الأحمر، وقد ذكرها الرحالة المقدسى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) فقال «والسرين بلد صغير له حصن الجامع فيه على باب البلد مصنعه ، وهو فرضة السروات، والسروات معدن الحبوب والتمور، والبردية، والعسل الكثير [١١٣]. ولهذا فاننا نجد أن بلدة السرين قد ظهرت مع غيرها من موانئ بلاد تهامة خلال العصور الوسطى كى تربط سكان أهل تهامة والسراة مع غيرهم من الشعوب والتجار الذين كانوا يطلون على البحر الأحمر من جهات عدة، أو كانوا يعملون فى نقل البضائع من أو إلى أرض تهامة والسراة.

ويبدو أن بلدة السرين لم تعمر طويلاً فى نشاطها التجارى الحضارى ، حيث أخذت المصادر تكتب عنها منذ منتصف القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) فيذكر أحد الباحثين المعاصرين بعض التفصيلات عن هذه المدينة فيقول : «إن هذه الفترة كانت الحياة العامة فيها فى تناقص وتأخر إلى أن آل بها ذلك إلى الخراب والموت فى أواخر القرن الثامن الهجرى، حيث ظهر على أقلام المؤرخين ذكر اسم الواديين من مستهل القرن التاسع الهجرى بديلاً لاسم السرين تبعا لاسم الموقع البديل الذى اتخذه نواب أمير مكة على تلك الجهات» [١١٤] ويؤكد هذا القول ما ذكره عمر بن فهد فى تاريخه عندما قال «وتوجه راجح بن قتادة إلى اليمن هاربا، لما استولى عليها أبوسعد ابن أخيه، على بن قتادة ، وسكن السرين يعنى- الموضع المعروف بالواديين» [١١٥].

أما مدينة عشم، أو مخلاف عشم، كما ورد ذكره ضمن غيره من مخاليف مكة، فلقد أورده العديد من الجغرافيين والرحالة، عند ذكرهم لمخاليف تهامة، فذكروا أن لمكة مخاليف ، وسموها أحيانًا بالحصون، ثم أوردوا أسماء عديدة منها: السرين، وضنكان، وعشم ، وبيش[١١٦]. ويظهر أن هذه البلدة كانت نشطة بتجاراتها وحضارتها حتى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، حيث تواتر ذكرها فى مدونات رجال هذه الفترة، وذلك بوصفها إحدى المراكز الهامة فى تهامة [١١٧]. بينما فى القرنين السادس والسابع الهجريين (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين) صمتت المصادر عن ذكرها تمامًا ، فعلى سبيل المثال، لم

ترد فى معجم ياقوت الحموى، خلال القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، مما يشير بطريق غير مباشر إلى انعدام أهميتها فى زمنه، وأن الخراب قد لحق بها(١١٨).

ومدينة حلى كانت من أشهر مدن تهامة، ويذكر الحجرى أنها «بلد من تهامة فى شماليها ، جنوبى القنفذة على مسافة سبع مراحل من مكة» (١١٩) و «تطلق كلمة حلى على وادى حلى المشهور قديمًا وحديثًا باتساعه ، وخصوبة أرضه، كما تطلق هذه الكلمة على مدينة حلى المعروفة فى المصادر العربية باسم: حلى بن يعقوب التى يعتقد بأنها كانت العاصمة المركزية للوادى» (١٢٠). وهذه المدينة كانت من أكبر وأنشط محطات طرق الحج اليمنية إلى مكة المكرمة ، كما تذهب بعض المصادر الإسلامية المبكرة إلى أنها بلغت قمة تطورها فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) . وظلت تؤدى دورها الحضارى حتى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، حيث أشار إليها ابن بطوطة فى رحلته فذكر أنها مدينة كبيرة، تتسم بالازدهار العمرانى، ووصف جامعها الكبير بأنه أحسن الجوامع (١٢١)، كما يُعلق أحد الباحثين المحدثين فى ثنايا حديثه عن حلى من خلال أوصاف المؤرخين لها بأنها كانت مدينة ضخمة تضم بين جنباتها سوقًا تجاريًا كبيراً، ومسجداً جامعًا ، وآخر ثانويًا ، علاوة على أعمالها العديدة من قرى ونواح (١٢٢)، فيقول : «ولاشك أن هذا دليل قاطع على أنها كانت مدينة متطورة ، وأنها كانت عاصمة لإقليم حلى بأسره»(١٢٣).

وعلاوة على هذه المراكز التجارية والحضارية لبلاد تهامة ، فهناك أيضًا الأجزاء التهامية الداخلية الواقعة بين سواحل البحر الأحمر وسفوح جبال السروات ، والممتدة من مكة المكرمة شمالاً إلى مخلاف حكم (جازان) جنوبًا، مثل : الليث ، والقنفذة (١٢٤)، ثم تهامة سراة غامد وزهران وحاضرتها المخواة ، يليها إلى الجنوب تهامة سروات الحجر، كوادى خاط ، والمجاردة ، وبارق ، ثم بلدة محائل ، ورجال ألمع ، ودرب بنى شعبة، والشقيق، وغيرها مواطن عديدة كانت لاتقل فى أهميتها الحضارية والتجارية عن مدن عشم، والسرين، وعثر ، وبيش ، وحلى وغيرها (١٢٥).

أما المراكز السروية التجارية والحضارية ، فقد كانت منتشرة فى أرجاء المنطقة السروية، ولكننا سوف نشير إلى أهمها . وهناك عدد من الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل قد أشاروا إلى أسماء العديد من تلك المحطات التجارية التى تقع على الطريق السروية التى تربط بين اليمن والحجاز(١٢٦).

ويأتى فى الجنوب مدينة نجران التاريخية، وقد أفاضت المصادر فى الحديث عن هذه البلدة، وأشارت إلى أهميتها السياسية، والدينية ، والاقتصادية[١٢٧]. ولما امتازت به بلاد نجران من استراتيجية الموقع، فقد أكسبها ذلك أهمية كبيرة فى مجال التجارة ، وكذلك خصوبة تربتها جعلها من المدن الزراعية التى تنتج التمور والحبوب وأنواعًا أخرى من المحاصيل الزراعية التى قامت عليها بعض الصناعات والحرف التقليدية، علاوة على تصديرها إلى الجهات المحيطة بها[١٢٨].

ويلى مدينة نجران مخلاف جرش (جزء من منطقة عسير الحالية) ، أو مدينة جرش، وهى لاتقل فى أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية عن مدينة نجران، بل إن هذه المدينة قد ورد ذكرها فى المصادر الإسلامية المبكرة منذ أن دخلها الإسلام فى عهد الرسول (ﷺ) ، واستمرت تؤدى مهمتها السياسية والحضارية فى منطقة عسير حتى القرن السابع، وربما الثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)، ثم يختفى ذكرها بعد ذلك[١٢٩]. ومن يتجول فى موقع مدينة جرش اليوم، وهى تبعد عن مدينة أبها نحو الجنوب الشرقى بحوالى (٣٥-٤٠) كيلو متراً، يجدها لازالت تحتوى على نقوش ورسوم وآثار عديدة توضح قيام نشاط حضارى تجارى كبير بها ، خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة[١٣٠]. وإننى من خلال هذا البحث أهيب بالأقسام الأكاديمية الأثرية المختصة فى البلاد السعودية أن تولى هذا المكان بعض الاهتمام من الدراسة والتنقيب، وإننى متأكد أنهم سوف يجدون مادة علمية كثيرة تعكس تاريخ وحضارة هذا الجزء من جنوب شبه الجزيرة العربية[١٣١].

ونكتفى بالقول، بأن الهمدانى قد أفاض فى ذكر تفصيلات دقيقة عن مواطن السراة سواء المنحدرة تجاه الأغوار التهامية ، أو بلدان السراة الواقعة فى الأجزاء الشرقية، علاوة على ما ذكره عن مواطن سروات عسير (عنز) والحجر، وغامد وزهران[١٣٢]، مما ينهض دليلاً على كون العديد من هذه المراكز زاخرة بالنشاطات البشرية المتنوعة كفاية لحاجة سكانها ، ويأتى على رأس هذه النشاطات النشاط التجارى. هذا ونلاحظ أن هذه المواطن والمراكز الحضارية التى دونها الهمدانى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) لازالت تحمل نفس المسميات إلى يومنا هذا، بل لازال كثير منها يتميز بالنمو والنشاط الحضارى الذى تعيشه مواطن عديدة فى شبه الجزيرة العربية. ومن هذه المراكز : بلدة ظهران الجنوب فى ديار وادعه، وإلى الشمال من بلاد نجران، ثم سراة عبيدة ، وأحد رفيدة فى بلاد قحطان أو (سراة جنب) . أما أبها ،

والملاحة ، وطبب، وتندحة ، والقرعاء ، وبيشة ، وترج، وتبالة ، وعبل ، وتنومة ، والجهوة ، والخضراء ، وحلباء، وسدون ، والعرق، وغيرها مما ذكر الهمداني، فلازالت تحمل نفس المسمى الذى كانت تحمله فى القرون الإسلامية المبكرة ، كما أن بعضها، تعد اليوم، من المحافظات الكبرى فى منطقة عسير (مخلاف جرش قديمًا) [١٣٣]. وجميع هذه البلدان وغيرها فى أرض السروات تكتظ بالكثافة السكانية، إلى جانب توافر جميع المقومات الأساسية لقيام نشاطات حضارية متعددة، من اجتماعية ، وفكرية ، واقتصادية وغيرها [١٣٤].

٧- الأسواق :

نشطت حركة التجارة الداخلية فى بلاد تهامة والسراة نشاطًا ملحوظًا نلمسه فى العديد من مدن هذه البلاد وقراها ، فكان هناك العديد من الأسواق التى تقام فى ساحات هذه المدن والقرى. ورغم كثرة هذه الأسواق وتنوعها، إلاَّ أن الغالب عليها، كما يبدو ، هو نظام الأسواق الأسبوعية التى كانت تقام فى يوم معين من أيام الأسبوع، وكان هذا النوع من الأسواق أكثر شهرة وذيوعًا ، لاسيما فى المدن والقرى الصغيرة ، فكان لكل قبيلة أو عشيرة فى بلاد تهامة والسراة سوق يقام فى أرضها ، ويسمى باليوم الذى يقام فيه، فمثلاً : يقال سوق الجمعة، وسوق السبت ، وسوق الاثنين، وهكذا نسبة إلى اليوم الذى يقام فيه السوق من كل أسبوع [١٣٥]. ويخرج أرباب الصناعات والبضائع بضائعهم وسلعهم على اختلافها ، ويبدأ السوق فى الصباح الباكر، ويستمر إلى آخر النهار، ويزدحم طوال اليوم براغبى البيع والشراء، وكانت القبيلة التى يقوم السوق على أرضها، غالبًا ما تتولى حمايته من أى اعتداء ، وتوفير الأمن والراحة للتجار ومرتادى الأسواق [١٣٦].

ولم تكن وظيفة الأسواق تقتصر على مزاولة البيع والشراء ، وإنما كان الناس يتداولون فيها الآراء، ويتناقلون الأخبار ، ويتم فيها الوعظ والإرشاد. وأغلب الأسواق يكون فيها مكان مرتفع يسمى بـ (الراية)، يستخدم للوعظ أو الإعلان من فوقه عن خبر معين. ويذكر أن أهل تهامة والسراة كانوا يستخدمون مثل هذا المكان فى رفع العلم الأبيض لمن فعل أمراً حميداً ليشكره الناس، وينوهوا بفضله ، وقد يرفعون علمًا أسوداً لمن غدر ، أو لم يف بالتزاماته نحو عشيرته، أو غيرهم [١٣٧].

ومعظم السلع فى أسواق تهامة والسراة الأسبوعية كانت تعرض على الأرض، فيفرش البائع لها قطعة من القماش، وأحيانًا تكون على الأرض بدون أى فرش. والسوق الواحد يكون

فى مكان محدد من أرض القبيلة [١٣٨] . وقد عرفت تهامة والسراة بالأسواق المتخصصة، حيث كان السوق الواحد يضم عدة أسواق، كل منها قائم بذاته على بيع وشراء سلع معينة، فكان سوق للحبوب، وآخر للماشية ، وثالث للبز، وغيرها لبيع أغراض أخرى متنوعة[١٣٩].

وإلى جانب ذلك عرفت تلك المناطق أيضًا الأسواق الدائمة، حيث شهدت بعض الأسواق وجود حوانيت ومحال صغيرة فى أطرافها، وخاصة فى الأسواق الكبيرة بالمدن مثل: نجران، وجرش ، وبيشة وغيرها فى بلاد السراة، وكذلك حلى، والسرين، وعشر ، وغيرها فى الحواضر التهامية[١٤٠]. وكانت هذه الأسواق على ما نرجح تقوم على غرار الأسواق الإسلامية فى العصور الوسطى بالمدن والحواضر الكبرى، حيث تتألف من شارع طويل تكتنفه الحوانيت والمحال من الجانبين ، وكان يتقدم كل حانوت مصطبة مرتفعة يجلس عليها البائع أو صاحب الحانوت مع عملائه لعقد الصفقات، وإجراء عملية البيع والشراء، وأحيانًا كانت بعض الحوانيت الكبرى تنقسم إلى قسمين أحدهما داخل الآخر، ويتخذ القسم الداخلى مخزنًا للبضائع ، بينما الجزء الخارجي يعد معرضًا لها، ومجلسًا للعملاء[١٤١].

وفى أثناء حديثنا عن الطرق التجارية لاحظنا مرور بعضها بمحطات عديدة حفلت بالنشاطات البشرية المتنوعة ، وبخاصة الأسواق التجارية ، التى كانت مقصداً للتجار السالكين لتلك الطرق، حيث اعتادوا النزول فى بعضها، وعقد الصفقات التجارية مع من يصادفونهم من التجار بكل محطة، أو مع سكان القرى والمناطق المحيطة بكل محطة تجارية. وبعض الأسواق التجارية فى هذه المحطات ترجع شهرتها التجارية إلى العصر الجاهلى، واستمرت خلال العصور الإسلامية المختلفة. وأبرز هذه المحطات النشطة بأسواقها : أسواق الشعيبة ، والسرين ، وقنونا، وحلى والبرك، وعشم، وبيش ، وبارق ، وغيرها فى أرض تهامة، وكانت جميعها تعج بالحركة التجارية ، ويرتادها الكثير من التجار من داخل بلاد تهامة والسراة ومن خارجها[١٤٢]. ونجد بعض الجغرافيين والمؤرخين الأوائل ينوهون فى مدوناتهم عن نشاط بعض هذه الأسواق فى العصور الإسلامية الوسيطة. فابن المجاور يشيد بأسواق نجران وما حولها، ويقول : «وعليها المعول فى البيع والشراء»[١٤٣]، ويتحدث الهمدانى عن سوق عشر ويذكر أنه من أشهر أسواق تهامة خلال القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، فيقول : «... بيش وبه موالى قريش، وساحله عشر، وهو سوق عظيم»[١٤٤]. ويؤكد المقدسى ما ذكره الهمدانى عن أسواق عشر أثناء حديثه عن تلك المدينة التى تعد

حاضرة لبيش فيقول : « ... وعشر مدينة طيبة مذكورة ، لأنها قصبة الناحية ، وبها سوق حسن » [١٤٥] ، ويتحدث ابن المجاور عن بعض نواحي تهامة، ومنها ميناء السرين، الواقع على البحر الأحمر ، فيذكر نشاطه التجارى الزاخر ، وأنه كان موئلاً للتجار القادمين من فارس بتجارتهم، وأنه لكثرة توافدهم عليه كانوا سبباً فى شهرته حتى أطلق عليه «بناية الفرس على ساحل البحر» [١٤٦] ، كما أشار المقدسى إلى هذا الميناء فذكر أنه [١٤٧] «فرضة السروات» ، وذلك لما يرد إليه من بلاد السراة من سلع متنوعة [١٤٧].

ونلاحظ كثرة الأسواق الأسبوعية فى بلاد تهامة والسراة، وتناثرها فى أنحاء البلاد ، وقد لمست ذلك من خلال مشاهداتى الشخصية أثناء تجوالى وزياراتى للعديد من مناطق هذه البلاد المعنية بالدراسة خلال السنوات الماضية، فوجدت كل عشيرة أو قبيلة لاتخلو نواحيها من سوق أسبوعى، كما اطلعت على عشرات الوثائق التى تنص على مسمى بعض هذه الأسواق، ومن المسؤول عن حمايتها ، وبنود أخرى عديدة تضمنتها هذه الوثائق تشير بل وتؤكد على استقرار الأمن بها [١٤٨]. كما شاهدنا العديد من الآثار والنقوش التى لازالت واضحة للعيان فى بعض الأسواق، والتى تحتاج إلى تضافر جهود الدارسين والمهتمين لدراستها والتنقيب عن آثارها ، خصوصًا أن بعض الأسواق يبدو عليها القدم التاريخى، ومن الصعب تحديد عمرها التاريخى إلا عن طريق الدراسات والتنقيبات الأثرية [١٤٩] . كما أن بعض الجهات الرسمية فى حكومة المملكة العربية السعودية بدأت منذ عدة سنوات تولى بعض هذه الأسواق الأسبوعية نوعًا من الجهود فى صيانتها والحفاظ على ما يوجد بها من تراث وآثار قديمة ، ونرجو من هذه المؤسسات الحكومية ، بل نرجو من المؤسسات التعليمية فى البلاد أن تضاعف الجهود فى الحفاظ على هذه الأسواق، ما تحتويه من تراث وفكر حضارى. ولعل الاهتمام بصيانة هذه الأسواق الاقتصادية الأثرية، والعمل على ترميمها وتجديدها يمثل أحد مظاهر التطور الحضارى الذى تشهده البلاد فى الآونة الحالية [١٥٠].

٨- الحسبة والمحتسب :

وإذا كانت مهمة حفظ الأمن، والقيام بأعباء الحراسة فى أسواق بلاد تهامة والسراة تقع على عاتق القبائل والعشائر المحيطة بكل سوق، فاننا لانعدم إشارات وردت فى بطون المصادر الإسلامية تشير إلى أن أسواق التهائم والسراة قد عرفت - شأنها فى ذلك شأن الأسواق بالحواضر الإسلامية الكبرى- وظيفة المحتسب ، وذلك منذ أمد طويل ، فقد أمدتنا المصادر

بأن خلفاء المسلمين الأول كانوا يرسلون من قبلهم من يتولى وظيفة الحسبة فى أسواق تهامة والسراة، ولا أظن أن أولئك المحتسبين كانوا يغطون جميع أسواق هذه البلاد، لكن من المحتمل أنهم كانوا يشرفون على الأسواق الكبيرة، والتى تقع فى مدن واسعة، أو على ملتقى طرق رئيسة[١٥١]. ومهمة المحتسب ، أو والى السوق[١٥٢] ، أن يشرف على سير البيع والتجارة فى السوق، منعًا للغش ، والتدليس، والتلاعب فى الأسعار، مما يؤدى إلى ارتفاع أثمان السلع، الأمر الذى يثقل كاهل الأهالى، ويزيد من أرباح تجار السلع. وكذلك يقوم المحتسب على فض المنازعات، وحل المشاكل التى قد تحدث فى السوق، وربما كان من مسؤولياته جباية الأموال من البائعين فى الأسواق نظير السماح لهم بالجلوس فيها وممارسة البيع وشراء ، كما أن من مسؤولياته حفظ الأمن فى السوق، وكان يعين فى عمله عريفًا أو نقيبًا لكل صنعة فى السوق من أهلها، خبيراً بعملهم وتدليسهم، وتقتصر مهمته على رقابة أهل الصنعة ، وإطلاع المحتسب بأخبارهم ، وأحيانًا قد يتعرض المحتسب ، أو والى السوق، للإيذاء من بعض العشائر المحيطة بالسوق، وما حصل فى سوق حباشة ببلاد بارق فى تهامة عام (١٩٧هـ/ ٨١٢م) لأكبر دليل على وجود ولاة لبعض الأسواق فى فترات الإسلام المبكرة، حيث يذكر الأزرقى[١٥٣] ، وابن فهد أنه فى سنة ١٩٧هـ (٨١٢م) كان عامل مكة داود بن عيسى، استعمل عاملاً على هذا السوق «وهى آخر سوق خرب من أسواق الجاهلية ، وكان والى مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه جند فيقيمون به ثلاثة أيام من أول رجب متوالية، فقتلته قبيلة الأزد فى هذا العام، فأشار أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربها وتركت»[١٥٤].

ونخرج مما سبق ذكره عن الأسواق ، والحسبة والمحتسب ببعض الاستنتاجات مثل:

أ- لايستبعد أنه كانت هناك أسواق أخرى عديدة فى بلاد تهامة والسراة، قد خربت نتيجة للصراعات القبلية فى البلاد ، أو من قبل الولاة والأمراء فى الحجاز ، وذلك لما قد يصدر من بعض القبائل المحيطة ببعض الأسواق، والمعتدية على عمال الأسواق المرسلين، كما حصل فى سوق حباشة ، خلال عصر الخليفة العباسى الأمين ١٩٣-١٩٨هـ / ٨٠٨-٨١٣م) ، وفى عهد ولاية والى مكة داود بن عيسى.

ب- إن بعض الأسواق كانت ذات أهمية تجارية، أو ذات موقع تجارى هام، فولاة مكة المكرمة كانوا يرسلون إليها المحتسبين ومعهم قوة عسكرية تعينهم على ضبط الأمن

وسير الحياة التجارية فى الأسواق المرسلين إليها، ولكن فيما يبدو أحيانًا فان تلك القوة تكون صغيرة ، فلاتستطيع الدفاع عن نفسها، وخصوصًا لو ثارت فى وجوههم عشائر كبيرة، ومن ثم فانهم قد يتعرضون للخطر ويفقدون حياتهم.

جـ- إن المشاهد اليوم لأرض تهامة والسراة، يرى جميع مقومات الحياة التجارية بها، فوقوعها بين منطقتى الحجاز واليمن، ثم إطلالها على شاطىء البحر الأحمر أكسبها موقعًا تجاريًا هامًا. كما أن وفرة الخيرات الزراعية والثروة الحيوانية بها، وتعدد مسالكها ، وتنوع تضاريسها أكسبها ميزة أخرى، إلى جانب كثرة سكانها ، وتعدد قراها ومدنها، كل هذا جعل الأسواق التجارية منتشرة بها، بل جعل النشاط التجارى الداخلى والخارجى معها ميسوراً .

٩- الصادرات والوردات :

إن بلاد تهامة والسراة كانت تتمتع بنشاط تجارى زاهر، فلاتقتصر المتاجر على أهل البلاد أنفسهم، وإنما خرجوا للمتاجرة مع سكان الإقليم والأجزاء المجاورة لهم فى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها .

ففى ميدان التجارة الخارجية بأرض تهامة والسراة، نلاحظ أن معظم العشائر والقبائل ، بل جميع المدن والحواضر كانت تحتوى على أسواق أسبوعية تكتظ بأنواع عديدة من السلع، سواء المحلية منها كالمصنوعات والمنتجات التهامية والسروية التى كانت تشتهر بها وتعمل على تصريفها فى الأسواق الخارجية، أو تلك الواردة إليها من الشرق الأقصى وسواحل أفريقيا الجنوبية الشرقية مما أدى إلى التنوع الشديد فى حركة الصادر والوارد [١٥٥]. وقد توافر فى هذه الأسواق الكثير من السلع المحلية، كالحبوب بأنواعها، والصناعات اليدوية المتنوعة، كأدوات الزراعة، والتجارة، والحدادة، والمنسوجات ، والجلود بأنواعها، وغيرها [١٥٦]. وغالبًا ما كانت تصدر هذه السلع من الحواضر والمراكز الحضارية المتعددة فى أرض تهامة والسراة، وذلك لتوفر الزراعة عندهم. أما أهل البادية والأرياف فكانوا يتاجرون فى بعض الحيوانات الأليفة التى توجد لديهم مثل: الإبل ، والأبقار، والأغنام ، والماعز . كما كانوا يتاجرون فى منتجات تلك الحيوانات مثل: السمن، والزبد، والأصواف ، والجلود [١٥٧].

وإذا ما نظرنا فى بعض المنتجات التى كانت تتوفر فى بلاد تهامة والسراة ، ثم تصدر إلى مدن اليمن، والحجاز ، واليمامة ، والبحرين ، وأحيانًا إلى خارج شبه الجزيرة العرب، فان

الحبوب تأتى على رأس قائمة تلك السلع . وقد وجدنا عدداً من المؤرخين والجغرافيين الأوائل يذكرون كثرة إنتاج الحبوب بأرض تهامة والسراة[١٥٨] . بل إن ابن المجاور فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) يذكر كثرة الحصون والقصور فى بلاد السراة، وكان من فوائد تلك القصور اتخاذها مخازن للحبوب فقال: «وقد بنى فى كل قرية قصر من حجر وجص ، وكل واحد من أهل القرية له مخزن فى القصر يخزن فيه جميع ما يكون له من حوزه وملكه ، ولايأخذ منه إلا قوت يوم بيوم»[١٥٩] . ومثل هذه الحصون والمخازن التى توجد بها تدل على كثرة إنتاج الحبوب فى البلاد، بل إن الباحث قد عاصر هذه العادات عند أهل السراة خلال العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى)، حيث كان لكل قرية حصن، أو أكثر[١٦٠] ، ثم إن كل أسرة فى القرية تمتلك غرفة أو جزءاً من غرفة فى هذا الحصن كى تخزن فيها ما تنتج مزارعهم، ولاتزال عشرات الحصون القديمة، التى كانت تستخدم لمثل هذا الغرض ماثلة للعيان، مع العلم أنها أهملت وبدت عليها علامات الخراب والاندثار[١٦١].

كما تعد الخضروات والفواكه من السلع الهامة التى توافرت ببلاد تهامة والسراة نظراً لكثرة زراعتها ، وخصوبة أراضيها ، والتى أشار إليها غير واحد من الرحالة والمؤرخين مثال ذلك ابن جبير الذى ذكر أنها «أرض خصبة متسعة كثيرة التين والعنب، واسعة الحرث ، وافرة الغلات»[١٦٢] ، ومن ثم اضطلع سكانها بمهمة تصدير الفائض منها إلى الحجاز وبلاد اليمن وأفريقية عبر البحر الأحمر، ويأتى فى مقدمة هذه السلع الكروم على أنواعها ، والرمان، واللوز ، علاوة على بعض السلع الأخرى كالسمن والعسل [١٦٣]. كذلك أشاد الهمدانى بأرض تهامة والسراة وخصوبتها التى تبرز فى تنوع ووفرة محاصيلها الزراعية، التى عدد بعضها مثل: البر، والشعير، والتفاح، والخوخ ، والكمثرى ، والعسل [١٦٤]. ويوافق قدامة الهمدانى فى وفرة الفواكه بأرض السراة [١٦٥] ، كما أكد المقدسى ما ذكره ابن جبير ، عن خروج الفائض من الفواكه والخضروات السروية والتهامية مصدراً إلى أسواق مكة المكرمة ، وإلى موانئ البحر الأحمر لتصديرها إلى خارج شبه الجزيرة العربية [١٦٦]، كما ذكرت مصادر أخرى وفرة هذه المزروعات فى بلاد السراة مثل: بيشة ، وجرش ونجران، ونوهتْ بعدد من مواطن وفرة الفواكه ، والتمور بها ، حتى إن نجران وصفت باسم «نجران الحقول»[١٦٧] . كما أشادت ، دلالة على شهرتها الزراعية، بتمور بيشة ونجران وجودتها ، ويشارك الهمدانى فى هذا القول عندما وصف بَعض أنواع التمور المنتجة فى بلاد السراة ومدح جودتها ، فذكر أنها على نوعين هما: المدبس، والقسب، ولاتوجد إلا ببلاد السراة، وخاصة فى نجران وبيشة[١٦٨].

كذلك اشتهرت أرض تهامة والسراة بوفرة ثرواتها النباتية الطبيعية، والتى تقوم على المنحدرات من جبال السروات تجاه تهامة، والتى يطلق عليها اسم «صدر» وجمعه «أصدار» ، وقد حفظ لنا الدينورى أسماء مئات الأشجار والنباتات الطبيعية المتنوعة، والمستخدمة لأغراض عديدة، كما تحدث عن جودة بعض تلك الأشجار، وتزايد الطلب عليها فكانت تصدر أخشابها أو أوراقها إلى بعض الأسواق الكبرى فى الحجاز، واليمن، واليمامة، كى يستفاد منها فى منافع عديدة[١٦٩] . وقد ساعد توافر هذه الأشجار والنباتات الطبيعية المتنوعة على تكاثر حشرة لها أهميتها فى المجال الاقتصادى ، ونعنى بها النحل، مما أدى إلى توفر العسل الذى يزيد عن حاجة أهل البلاد ، وبالتالى دخل فى قائمة صادراتهم، ودلالة على كثرته ، أن بعض المواطنين فى أرض السراة كانوا يدفعون عليه زكاة منذ عهد الرسول (ﷺ) ، وعندما جاء عصر الخليفة الراشد، عمر بن الخطاب، (رضى الله عنه» امتنع بعضهم عن دفع زكاته، فلم يكن على أمير الطائف الذى كان يتولى إدارة شؤون أهل السراة ، إلا أن يكتب للخليفة عمر بذلك ، فكتب عمر إلى الوالى قائلاً : «إن أدوا إليك ما كانوا يؤدونه إلى النبى (ﷺ) فاحم لهم أوديتهم، وإن لم يؤدوا إليك ما كانوا يؤدونه إلى النبى (ﷺ) فلاتحم لهم»[١٧٠]. ويذكر أن خلفاء بنى أمية وبنى العباس كانوا يرسلون إلى أمرائهم فى أرض الحجاز كى يزودوهم بعسل السدر، والندغ ، والسحاء ، والضرم المتوافر عند أهل تهامة والسراة [١٧١]. ولم تقتصر صادرات تهامة والسراة من العسل على شبه الجزيرة العربية ، ودمشق ، وبغداد ، بل عرف طريقه أيضًا، نظراً لجودته الفائقة ، عبر موانىء البحر الأحمر إلى بعض الأجزاء الأفريقية ، كما اشتد عليه الطلب ببلاد فارس [١٧٢].

كذلك كانت الجلود والمنسوجات من السلع الهامة التى تصدر إلى خارج بلاد تهامة والسراة، فيشيد ابن حوقل ويشاركه الاصطخرى وقدامة بجودة أديم نجران ، وجرش ، وأجزاء عديدة من أرض السراة[١٧٣]. ويذكر الإدريسى شهرة هذه المناطق بالمصنوعات الجلدية، لاسيما نجران وجرش، حيث تعد دباغة الجلود صناعة رئيسة لمعظم أهلها ، وقد بلغت الجلود المدبوغة فيهما درجة عالية من الجودة، ويؤكد ذلك الإدريسى بقوله : «وبها تدبغ الجلود اليمانية التى لايبلغها شيء من الجودة » [١٧٤]، وفى موضع آخر يؤكد أهمية هذه الصناعات لأهل هاتين البلدتين فيقول : إن هذه الصناعة هى « ... بضائعهم وبها تجاراتهم وأهلها مشهورون بذلك»[١٧٥]. وهذه السلعة كانت تصدر إلى حواضر عديدة فى العالم الإسلامى ، بل كانت

تهدى بعض المصنوعات الجلدية السروية التهامية إلى بعض الزعماء والخلفاء والأمراء، وهذا يدل على جودتها وعلو قيمتها [١٧٦]. كما تفنن أهل تهامة والسراة فى تزيين الجلود وزخرفتها برسوم وزخارف متنوعة ، وعمدوا إلى الضغط عليها بآلات معينة ، كما تفننوا فى تذهيب بعض الجلود الأخرى وحملها إلى أسواق مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مما عرف بـ (المذهب) ، وهو من أرقى الجلود وأغلاها ، ويشتريها الأغنياء والأمراء لاستعمالها فى الأشياء الغالية[١٧٧]. ولكثرة الجلود ودباغتها فى بلاد تهامة والسراة فكانت تستخدم لباسًا وغطاءً أثناء الليل، وتصنع منه النعال وأدوات أخرى عديدة [١٧٨]. كما أن الهمدانى أثناء تجواله فى أرض تهامة والسراة أشاد بدقة صناعة الجلود بتلك البلاد ، وخاصة فى مواطن نجران ، وجرش، وبيشة وغيرها ، وذكر ما يصنعون من المحافظ وتسمى (الجراب) ، وتصنع من الجلود السميكة ، وبأحجام مختلفة، وهذه الجراب أو المحافظ لها استعمالات كثيرة منها ما يوضع به الطعام للأسفار، وأحيانًا توضع بها النقود: الدراهم الفضية ، والدنانير الذهبية ، ومثل هذه المصنوعات كانت تصدر إلى أسواق الحجاز، ومن هناك ينقلها تجار الشام، ومصر ، وبلاد فارس، والعراق إلى مواطن عديدة فى العالم آنذاك [١٧٩].

كذلك عرفت المنسوجات المنتجة فى بلاد تهامة والسراة طريقها للتصدير، وخاصة ما ينتجه أهل مخلاف نجران، فتشير المصادر إلى مصالحة الرسول (ﷺ) لنصارى نجران على ألفى حلة يؤدونها له كل عام ، وثمن الحلة آنذاك كان أربعين درهمًا ، كما ذكر عن الرسول (ﷺ) أنه كفن فى ثلاثة أثواب نجرانية [١٨٠] ، وهذا مما يدل على بروز نشاط نجران فى مجال صناعة وتصدير المنسوجات ، لاسيما القطنية بوجه خاص، وكذلك الحلل اليمانية المشهورة التى تغنى بها الشعراء ، ويطعم نسيجها بخيوط الحرير [١٨١].

ومما ضاعف من شهرة هذه البلاد فى صناعة المنسوجات ، وساعد على تقدمها وازدهارها ، ازدياد الطلب عليها من أجل كسوة الكعبة، فتروى المصادر أن خلفاء بنى أمية، وكذلك بعض خلفاء بنى العباس، طلبوا من أهل نجران صناعة الحلل النفيسة لكسوة الكعبة المشرفة، وكانت هذه الحلل مطعمة بالديباج [١٨٢].

كما كان أهل تهامة والسراة يصدرون إلى أسواق جزيرة العرب فى الحجاز، واليمامة ، واليمن ، والبحرين بعض الأدوات الحديدية التى كانت تصنع فى بلادهم مثل: الخناجر ، والسيوف ، وبعض الأدوات المستخدمة فى الزراعة والصيد وغيرها[١٨٤]. أيضًا كانت الحيوانات توجد فى هذه البلاد بكثرة، وغالبًا ما كانوا يصدرونها إلى مكة المكرمة أثناء موسم

الحج، وربما صدروا بعضها من موانىء البحر الأحمر إلى خارج شبه الجزيرة العربية [١٨٥]، كما كانوا يصدرون من تلك الموانىء الحبوب والتمور وغيرها [١٨٦].

وإذا كان أهل تهامة والسراة قد صدروا العديد من سلعهم المحلية إلى أسواق عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، فانهم أيضًا كانوا يستوردون بدورهم العديد من السلع التى يحتاجونها فى تصريف حياتهم اليومية، وأحيانًا يقايضون بها سلعهم التى جلبوها من بلادهم. ومعظم الأسواق الكبيرة فى المواطن الساحلية التهامية وكذلك فى البلاد السروية كانت ترد إليها السلع من خارج أرض تهامة والسراة ، وبها يتم التبادل التجارى. فكانت نجران، وجرش، وبيشة ، والطائف وغيرها من الأسواق الساحلية تعج بالحركة التجارية، ومما يؤكد ذلك قول ابن المجاور «وعليها المعول فى البيع والشراء» [١٨٧]. فكان التبادل التجارى يتم فى هذه الأسواق المحلية بين التجار القادمين إليها من اليمن، والحجاز ، والعراق وفارس، وبلاد الروم، فكان التجار المحليون يجلبون سلعهم ويبيعون بالمقايضة مع أولئك التجار القادمين [١٨٨]. بل كان التهاميون والسرويون يستوردون من اليمن العديد من السلع كالمنسوجات اليمنية ، المتسمة بدقة الصنع، وجمال الألوان والزخرفة، علاوة على السلع الشرقية ، لاسيما الأفاوية الواردة من الشرق الأقصى والتى كانت تجد سوقًا نافقة عندهم لعدم وجودها ببلادهم. وكانت هذه السلع تصل إليهم عن طريق موانئ البحر الأحمر مثل: «ميناء عدن ، وجازان ، والبرك ، والسرين ، والشعيبة ، وجدة، وغيرها [١٨٩]. كما كانوا يستوردون من مكة المكرمة أيضًا بعض الملاحف ، والعباءات ، وغير ذلك من المنسوجات ، وأدوات الزينة. وكثير من هذه السلع المستوردة كانت ترد إلى الحجاز من بلاد الشام، ومصر ، والمغرب ، والأندلس ، وفارس ، والعراق، وبلاد ما وراء النهرين [١٩٠].

وقد دللت لنا بعض المصادر على عمق العلاقات التجارية القائمة بين سكان تهامة والسراة وأهل الحجاز ، وخاصة أهل مكة المكرمة ، فيذكر ابن حبيب فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) أن التهاميين والسرويين كانوا يرتادون بسلعهم أسواق مكة، لاسيما السلع الغذائية، فيجدون حسن الاستقبال والترحاب من المكيين، وخاصة تجارهم، وذلك لجودة ما جلبوا من سلع قيمة [١٩١]. كما يشير الأزرقى أيضًا وهو ما أهل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) إلى تعيين مكان محدد فى أسواق مكة ترتاده عير أهل تهامة والسراة فتقيم به مدة إقامتها وممارستها التجارة فى مكة [١٩٢] ويأتى ناصر خسرو فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) فيذكر نشاط السرويين التجارى فى مكة، وما يجلبون معهم من حبوب وسلع

متنوعة يقايضونها بما يفيض بأسواق مكة من سلع لاتتوفر ببلادهم[١٩٣]. كما يورد ابن جبير تفصيلات أخرى دقيقة عن تجار بلاد السروات الوافدين إلى مكة المكرمة، ومعاملاتهم التجارية مع المكيين، مما ينهض دليلا على تواصل هذا النشاط التجارى بين الطرفين ، والدور الهام الذى لعبه أهل السروات فى تزويد الحجازيين وأسواقهم بما ينقصهم من السلع الضرورية فيقول : «إن قبائل تعرف بالسرو أو السراة ، أهل جبال حصينة يستعدون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام فيجمعون بين النية فى العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبياء إلى مادونها ، ويجلبون السمن ، والعسل ، والزبيب ، واللوز فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة، يصلون فى آلاف من العدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر، فيرغدون معايش أهل البلد، والمجاورين فيه، وينفقون ويدخرون ، وترخص الأسعار ، وتعم المرافق ، فيعد منها الناس ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى، ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة فى شظف من العيش » [١٩٤].

ويضيف ابن جبير : «ومن العجب فى أمر هؤلاء المائرين أنهم لايبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولابدرهم ، إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان، وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب، ويبايعونهم به ويشارونهم، ويذكر أنهم متى أقاموا عن هذه الميرة ببلادهم تجدب ، ويقع الموتان فى مواشيهم وأنعامهم ، وبوصولهم بها تخصب بلادهم وتقع البركة فى أموالهم[١٩٥].

ويؤكد ابن بطوطة فى رحلته على ما ذكره ابن جبير فيقول : «وأهل الجهات الموالية لمكة، مثل بجيلة ، وزهران ، وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب، ويجلبون إلى مكة: الحبوب، والسمن ، والعسل ، والزبيب ، والزيت ، واللوز فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها ، وتعمهم المرافق »[١٩٦] ويضيف ابن المجاور إلى ما سبق قوله: «فاذا دخلوا مكة ملؤوها خبزاً من الحنطة ، والشعير ، والسويق، والسمن، والعسل، والذرة، والدخن واللوز والزبيب، وما شابه ذلك، وكذلك يقول أهل مكة: حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب، والسرو أمنا نكسب منهم القوت » [١٩٧].

وقد ظل هذا النشاط التجارى متواصلاً إلى عهد قريب فكنا نرى أهل تهامة والسراة يسوقون مواشيهم ويحملون بعض سلعهم إلى أسواق مكة فى مواسم الحج كى يبيعوها هناك ويستبدلوا بأثمانها سلعًا أخرى تفيدهم فى حياتهم اليومية، كالألبسة المختلفة، وأدوات الزينة والطعام وما شابهها .

١٠- المعاملات التجارية:

إن دراسة أوجه النشاط التجارى لبلاد تهامة والسراة، فى ضوء الازدهار الذى شهدته تلك المنطقة فى مجال التجارة داخليًا وخارجيًا ، تستلزم من الباحث بطبيعة الحال، استجلاء طرق التعامل التجارى المتبعة آنذاك فى أسواقها ، ودرج التجار من أبنائها والوافدين عليها على التعامل بها.

وفيما يلى دراسة موجزة لأوجه التعامل:

أ- المقايضة :

وكانت من أهم وسائل التعامل التجارى داخل أرض تهامة والسراة، وقد لجأ إليها التجار لإبرام الصفقات التجارية نظراً لقلة العملة الذهبية فى أسواقهم، فاستعاضوا بها عن النقد، وكانوا يعمدون إلى تقدير قيمة البضائع بالدنانير الذهبية عند إتمام إجراءات المقايضة. وقد شملت المقايضة كل أنواع السلع المتبادلة فى الأسواق، حيث كان المنتجون يقومون بنقل إنتاجهم للأسواق المحلية، حيث يجدون فيها سلعًا أخرى هم فى حاجة إليها، فيتم تبادل السلع بعضها ببعض كل حسب حاجته ، ولم تكن المقايضة بوصفها إحدى وسائل التعامل التجارى، مقتصرة على الأسواق المحلية، وإنما كانت سائدة أيضًا داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، يؤكد ذلك كل من الأزرقى، وناصر خسرو، وابن جبير ، وابن المجاور، وابن بطوطة خلال حديثهم عن نشاط أهل السراة التجارى، وكيف أنهم كانوا يحملون من بلادهم سلعًا عديدة مثل الحبوب بأنواعها ، والسمن ، والعسل، والزبيب ، واللوز وغيرها ، فيأتون بها إلى أسواق الحجاز فيقايضون بها سلعًا أخرى يحتاجونها فى ديارهم [١٩٨]. وقد نص ابن جبير على شيوع المقايضة كوسيلة للتعامل التجارى أساسية بين تجار السروات وأهل مكة بشكل صريح فيقول: « ومن العجب فى أمر هؤلاء - يقصد أهل السراة- المائرين أنهم لايبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولابدرهم . إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان، وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ، ويبايعونهم ويشارونهم»[١٩٩].

ب- التعامل النقدى:

تعد وحدات النقد العمود الفقرى للاقتصاد النقدى، فهى تمثل سلطة الدولة وشرعيتها ، وتمنح المستهلك قوة شرائية عامة، ومرونة قصوى فى سبيلٍ تحقيق مطالبه وإشباع رغباته

الشرائية [٢٠٠]. وقد عرفت أسواق تهامة والسراة مثل غيرها من أسواق الشرق الإسلامى التعامل النقدى كواحد من أهم أوجه التعامل المختلفة التى سادت فى الأوساط التجارية فى العصور الوسطى الإسلامية، ولاسيما ما يتعلق منها بالتبادل التجارى بينها وبين أقطار العالم الخارجى ذات العلاقات الاقتصادية معها .

ويمكننا أن نقسم الوحدات التى سادت أسواق شبه الجزيرة العربية بما فيها أسواق تهامة والسراة وجرى بها التعامل التجارى فى الفترة موضوع البحث إلى ثلاث وحدات نقدية وهى : النقود الذهبية (الدينار). ويمثل الوحدة النقدية الرئيسة لاسيما فى المعاملات والصفقات التجارية الكبرى، ثم النقود الفضية (الدارهم) ، وكانت تجرى بها عمليات البيع والشراء فى الأسواق الداخلية لاسيما السلع الغذائية، والنقود النحاسية (الفلوس) وهى بمثابة الوحدات النقدية المساعدة.

ونلاحظ أن أهل تهامة والسراة قد استخدموا العملة على اختلاف وحداتها فى نشاطهم التجارى بوجه خاص لاسيما مع تجار المناطق المجاورة كبلاد الحجاز واليمن، وقد أشارت المصادر إلى أن العملة التى استخدمها تجار بلاد الحجاز واليمن فى تجارتهم الداخلية والخارجية، ومن بينها تجارتهم مع بلاد تهامة والسراة ، كانت هى العملة الذهبية السائدة فى العالم الإسلامى خلال العصر الإسلامى المبكر ، وبالتحديد زمن الدولتين الأموية والعباسية[٢٠١].

أما عن أنواع العملة المستخدمة فى التعامل التجارى بين سكان تهامة والسراة، وكذلك أهل مكة واليمن، فيذكر المقدسى أنهم استخدموا النقود المحلية المطوقة ، وهى العثرية ثلثا المثقال [٢٠٢]. حيث يقول «وتؤخذ كدراهم اليمن عدداً ، وتفضل العثرية ، حتى ربما كان بينها دُريهم، ودينار عدن قيمته سبعة دراهم، وهو ثلثا البغوى توزن ولاتعد ....، والدراهم المستعملة فى الأقاليم- يقصد بلاد اليمن- تسمى بمكة المحمدية ... ولأهل اليمن العلوية» [٢٠٣].

كما عرفت بلاد الحجاز ، عملة «المزبقة» ، ولكن هذه العملة كثيراً ما كانت تتعرض للتزييف مثلها فى ذلك مثل الدراهم النقية التى كانت هى الأخرى تتعرض للتزييف ، وتبلغ قيمة هذا النوع من العملة (المزبقة) ، $\frac{١}{٢٤}$ من الدرهم النقى، أى أن كل أربعة وعشرين درهمًا من المزبقة ، تساوى درهمًا واحداً من الدراهم النقية[٢٠٥]. ولوحظ أن أهل السراة

وتهامة كانوا يتعاملون أحيانًا بهذه العملة عند قدومهم إلى أسواق الحجاز، وربما حملوها إلى ديارهم للتعامل بها هناك.

وهناك نوع ثالث من العملة كانت سائدة بدورها أيضًا فى الأوساط التجارية ببلاد اليمن والحجاز، والأرجح أنه تم التعامل بها أيضًا فى بلاد السراة، وهذه العملة هى الذهب المصرى، والذى عُرف أيضًا باسم الدينار المصرى (٢٠٦)، أو الدينار الأحمر (٢٠٧)، وقد أشار إلى هذه العملة المؤرخ ابن المجاور والذى حدد استخدامها فى هذه المناطق وأشار إلى سعر صرفها مقارنة بالدينار السائد فى اليمن ويعرف بالدينار الملكى (٢٠٨).

كما راجت فى أسواق المنطقة موضوع الدراسة الدراهم الفضية وكانت تعرف بالدراهم العباسية(٢٠٩) ، وقد ظلت سائدة فى أسواق السراة واليمن، حتى بدايات (القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) عندما أقدم الأئمة الزيدية على ضرب عملة فضية بأسمائهم فى صعدة ، ولكنها لم تنتشر انتشار الدراهم العباسية لنقص أوزانها عنها من ناحية ، وتطرق الزُغل «التزييف » إليها (٢١٠). ومع قلة الواصل من معدن الذهب إلى أسواق الشرق الأدنى والساحل الشرقى للبحر الأحمر بصفة خاصة مع تزايد أخطار الحركة الصليبية ، بدأ الناس فى الاعتماد على الفضة واستخدامها بشكل رئيس فى ضرب العملة، وبدأ النظام النقدى يعتمد على ما يضرب من دراهم كعملة أساسية ، وتحول الذهب إلى مجرد وسيلة لتقدير القيمة المدفوعة من القطع الفضية.

جـ- الدفع بالأجل :

وهى إحدى طرق ثلاث عُرفت فى أوجه التعامل بعد الدفع نقداً عند إتمام الصفقة التجارية بين البائع والمشترى، وبعد الصكوك أو الحولات، ثم البيع والدفع بالأجل، فكان بإمكان التاجر الصدوق أن ينال الثقة لدى التجار الكبار، فيأخذ ما يشاء من البضائع دون مال حتى يبيع ثم يسدد ما عليه من أثمان البضائع من عملية البيع طالما لايستطيع الدفع نقداً، وأحيانًا يقوم هؤلاء الباعة الصغار بدفع ما عليهم من ديون لتجار الجملة تقيسطًا ويحدد يوم معين من أيام الأسبوع يتم الاتفاق عليه بين الطرفين موعداً للسداد وقد شاعت هذه الطريقة فى شبه الجزيرة العربية عامة وفى بلاد اليمن خاصة فى بيع صفقات التمور، ولانستبعد تعامل أهل السراة وتهامة بها فى ضوء انتشار هذه الطريقة فى شتى مناحى الديار الإسلامية (٢١١).

د- الموازين والمكاييل والمقاييس :

اختلفت المكاييل والموازين ووحدات القياس من قطر إلى آخر من أقطار العالم الإسلامى، كما كانت تختلف أيضًا فى القطر الواحد من مدينة إلى أخرى، كما يظهر هذا الاختلاف أيضًا من عصر إلى عصر (٢١٢).

ويبدو واضحًا اختلاف وحدة الموازين والمكاييل والقياس من سلعة إلى أخرى باختلاف نوعية السلعة من حيث السيولة والصلابة ، فوحدة المكيال تعرف فى السلع السائلة باسم الوعاء الذى يحتويها فالسمن على سبيل المثال يباع بالجمنة وهى تساوى خمسة أمنان (٢١٣)، كذلك كان الشيرج «السليط» يباع بالجرة أو بالمن ، والجمنة والجرة هما اللذان يحفظ بهما السمن والشيرج «السليط أو الزيت» لسيولتهما (٢١٤).

١- الموازين :

أما عن وحدات الوزن المعروفة فى شبه الجزيرة العربية، ومنها الحجاز واليمن وبلاد تهامة والسراة فأولها المن. وهو وحدة الميزان الرئيس فى هذه المناطق ، ويطلق عليه أحيانًا مسمى «رطل» وكان الرطل المكى يساوى مائتى درهم (٢١٥). وكانت معظم السلع التجارية وفى مقدمتها العطور والحلويات والعسل، وكذا الثياب الحريرية تباع فى بلاد تهامة والسراة بالرطل أو المن(٢١٦).

وجدير بالذكر أن عيار المن أو الرطل يختلف باختلاف نوعية السلعة الموزون بها ، وبالتالى يختلف عياره عن المن أو الرطل الرسمى السابق. فكان المن أو الرطل المستخدم فى وزن اللحم والشحم والهريس (٢١٧)، والمجنبة يعادل ٤٠٠ درهم (٢١٨)، فيكون وزنه بالجرامات حوالى (١٢٥٠جم) وهو بذلك يساوى ما كان معروفًا فى القطر المصرى حتى وقت قريب بالأوقية(٢١٩). بينما يبلغ عياره - كما سبق القول- فى وزن السمن ثمانمائة درهم، كذلك يستخدم هذا العيار للمن فى بيع الزيت والخل (٢٢٠). فيصبح مساويًا لـ (٢ $\frac{1}{2}$) كيلو جرامًا. ولايزال حتى عصرنا الحالى يتم التعامل بالأرطال فى بعض أجزاء تهامة والسراة عند بيع بعض الحاجيات كرطل المسك والعنبر والبخور (٢٢١).

كما لايزال يستخدم حتى الآن عدة أنواع أخرى من الأرطال يختلف وزنها باختلاف البلد المنسوب إليه من بلاد تهامة والسراة، مثل الرطل الحجرى ، والنبدرى ، والبارقى وغيرها، كما

استخدم فى الموازين أيضًا الدينار ، والدرهم ، والدانق[٢٢٢] والقيراط[٢٢٣] ومن الثابت عند اختلاف عيار النقد كان يتم التعامل بالنقود وزنًا لاعداً[٢٢٤] فكان وزن الدرهم ستة دوانق ، وكل عشرة دراهم تساوى سبعة مثاقيل[٢٢٥] ، والدانق يساوى قيراطين ونصفًا[٢٢٦].

- الأوقية : وحددها ابن المجاور بحوالى (٢١ ١/٣) درهم وبحساب الدرهم (٣,١٢٥جم) يكون وزن الأوقية فى (القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى) بلغ (٦٧,٠٧٠٨) جم، بينما ذكر هنتس أن وزنها فى شبه جزيرة العرب فى صدر الإسلام كان حوالى (٤٠) درهمًا أى (١٢٥جم)[٢٢٧].

- البيعة : وتعتمد كوحدة وزن لبيع الأديم وقدرها ابن المجاور بمائة من، وذكر أن حمل الجمل يبلغ بيعتين ونصفًا ومن ثم يتراوح وزن البيعة الواحدة طبقًا لوزن المن ما بين(٨١ ١/٤) كيلو جرامًا ، أو (١٠٠) كيلو[٢٢٨].

٢- المكاييل : تعددت أنواع وأسماء المكاييل التى استخدمها أهل تهامة والسراة فى التعامل مع الحبوب والغلال والتمور وما شابهها فكان هناك:

أ- المد : اختلف الفقهاء فى تقديره ، ولذا اختلف من منطقة إلى أخرى فى العالم الإسلامى، ففى بلاد تهامة والسراة ، حيث كان يستخدم كوحدة للتمور والغلال وسائر الأطعمة فيبلغ وزنه خمسة أرطال وثلثًا أو ما يعادل ربُع الصاع[٢٢٩].

ب- الصاع : ويستخدم فى بيع الحنطة وسائر الحبوب فى بلاد تهامة والسراة، أو تلك المجلوبة إلى أسواق الحجاز ، ويقدره ابن المجاور بأربعة أمداد. كما استخدم الفرق فى الكيل، وهو يعادل ثلاثة صيعان[٢٣٠].

ويلاحظ أن المكاييل شأنها شأن النقود، كانت تتعرض أحيانًا لحالات الغش والتطفيف ، لاسيما عند أرباب السفن فى الموانئ الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، يؤكد ذلك المقدسى بقوله «ولهم بالمراكب صاعان يعطون بأحدهما (وهو الأصغر) جرايات الملاحين، ويتعاملون بالكبير»[٢٣١].

٣- المقاييس : وكانت أهم وحدات قياس الأطوال المستخدمة فى أسواق تهامة والسراة هى:

- الذراع[٢٣٢] : ويختلف طوله حسب الزمان والمكان، وينقص فى المواسم ويعود إلى ما

كان عليه قبل الموسم، وهو عدة أنواع منها الذراع اليدوى، والذراع الحديدى، أما ذراع اليد فيستخدم كوحدة قياس فى بيع وشراء الأقمشة كالبرود وشقق الحرير وغيرها ويتراوح طول ذراع اليد ما بين (٤٨,٥٤سم) إلى (٣, ٥٠سم) [٢٣٣].

أما الذراع الحديد، فكان يستخدم فى قياس وبيع ألواح الساج، وأيضًا بعض الأقمشة كالبز وغيرها وطوله حوالى (٥٨,١٨٧سم)[٢٣٤] ويضاف إلى هذه الأنواع من الأذرع ذراع خاص بقياس الأراضى وتقدير مساحتها عُرف بالذراع الشرعى أو ذراع المساحة، وكان يبلغ طوله حوالى (٤٩,٨٧٥سم) [٢٣٥].

كما عُرفت مقاييس وأطوال أخرى مثل قدم الإنسان وخطوته ، وشبر الكف ، والباع [٢٣٦]. وعُرف أيضًا الميل عند أهل تهامة والسراة ، وذلك من خلال ما ذكره الهمدانى عند تقديره لمسافات الطرق الواصلة بين اليمن والحجاز عبر أراضى السراة، فقدرها بالأميال [٢٣٧].

١١- معوقات التجارة :

رغم هذا النشاط التجارى الذى شاهدته بلاد تهامة والسراة، فانه نشاط قد تأثر سلبًا ببعض المعوقات ، والملاحظ أن هذه المعوقات لم تلق بظلالها على التجارة فقط، بل أيضًا على جوانب أخرى من الأنشطة البشرية فى هذه المنطقة، ولعل أهم هذه المعوقات هى:

أ- الأمراض والأوبئة التى كانت تفتك أحيانًا بأهل البلاد ، فتهلك منهم أعداداً كبيرة، فتتأثر القوى البشرية المنتجة فى المنطقة، ومن ثم تتأثر حركة الأنشطة البشرية فى مجتمع تهامة والسراة، ونجد بعض المصادر تشير إلى هذه الأوبئة وتأثيرها الضار على النشاط السكانى ، مثل : ابن كثير، حيث يذكر فى حوادث (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) فيقول : «وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن، وكانوا عشرين قرية، فبادت منها ثمانى عشرة لم يبق فيها ديار ولانافخ نار»[٢٣٨]، ويذكر ابن فهد فى أحداث عام (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠هـ) أنه «وقع بالطائف ، ووج ، وليه ، وعامة بلاد الحجاز، وباء عظيم هلك فيه من ثقيف وغيرهم من العربان عالم لايحصيهم إلا الله، بحيث صارت أموالهم ونعمهم لامالك لها، واستولى عليها سواهم، وامتد هذا الوباء إلى نخلة ولله عاقبة الأمور»[٢٣٩].

ومن أهم الأوبئة التى هاجمت منطقة تهامة والسراة : الطاعون ، والجدرى ، والحمى وغيرها من الأمراض الفتاكة، ومن أهم المصادر التى أشارت إلى انتشار مرض الحمى والجدرى وغيرها

فى بلاد تهامة ، المؤرخ عبدالله بن على النعمان الضمدى فيذكر عام (٩٥١هـ/ ١٥٤٤م) أنه «حصل على المسلمين الوباء العظيم ، والأمراض بالحمى المطبقة بمدينة أبى عريش ، وصبيا ، وضمد ... وكافة المخلاف السليمانى كان ابتداؤه فى شهر رمضان، واستمر نحو سبعة أشهر، انتقل بسببه عالم كثيرون، وعلماء أخيار، وسادة أخيار ... وأشراف أجلاء كبار فلله الأمر من قبل ومن بعد ، قيل وإن الذين فقدوا من أعيان وادى جازان ... مدة الوباء ألف ومائتا نفس»[٢٤٠] ويذكر أيضًا أنه فى عام (١٠٥٩-١٠٦٠هـ/ ١٦٤٩-١٦٥٠م) ظهر بالناس ببلاد تهامة والسراة وغيرها مرض الجدرى فقضى على خلق كثير[٢٤١].

وإذا كانت هذه الأمراض ، من أهم معوقات الحضارة فى مجتمع تهامة والسراة ، بسبب فقدان أهم قوة مؤثرة فى خلق هذه الحضارة، وهى القوة البشرية، فان هذه الأمراض قد أضرت أيضًا بممتلكات سكان هذه المنطقة، وخاصة بحيواناتهم مثل : الجمال، والأبقار، والحمير والبغال وغيرها ، فتأثر اقتصاد الأسرة والمجتمع كله، وتؤكد الروايات أنه كان من أصعب الأمراض منذ القدم هناك، هو مرض الجدرى، والحميات، فكان كثير من الناس بل أسر كاملة تموت دون أن تجد المساعدة ، أو الرعاية الطبية لمحاربة تلك الأمراض [٢٤٢].

ب- تعرض البلاد لموجات من الجفاف ، والقحط والغلاء فيذكر أيضًا عبدالله الضمدى أثناء حديثه عن بعض أجزاء من تهامة فيقول : «حصل فيها غلاء عظيم عن السهل والجبل ، لاسيما المخلاف السليمانى كان ابتداؤه فى سنة (٩٧٢هـ / ١٥٦٤م) وامتد إلى سنة (٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م) حتى كادت عقود شعائر الإسلام أن تتخرم وأجلت الناس عن أوطانها ... وخرجت المخدرات من بنات الناس سائرات فى الأسواق، ويقلون الدم ويأكلونه ، وانقطعت السبل والقوافل ... وتعطلت من الأيادى المأكولات والنفائس والأموال ... »[٢٤٣]. ويذكر أيضا فى عام ٩٧٩ هـ / ١٥٧١م) أنه «وقع القحط والغلاء فى أرض الحجاز ، وانقطعت المأكولات فى الأسواق وهلكت الدواب» [٢٤٤]، ويذكر أنه فى عام (١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م) «وقعت مجاعة فى وادى ضمد ذهب ضحيتها ألفان من أهل بلدة الشقيرى »[٢٤٥]، وفى عام (١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م) «اشتد الغلاء على الناس فى الحبوب، والسمن ، والألبان، والعسل»[٢٤٦] وفى سنة (١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م) »تواتر الخبر من جهة أرض اليمن باشتداد الجدب والقحط فى صبيا والتهائم ونواحيها ... وكذلك أهل الحجاز الأعلى هربوا من بلادهم وتركوها، وغالب أهل القرى والبادية جاؤوا إلى مكة هاربين وإلى رب البيت ملتجئين

وخاضعين ، وهم يصيحون ، الجوع الجوع ، ويتضرعون وفى الطريق يتصرعون [٢٤٧]، ويذكر أنه فى صفر عام (١١٧١هـ/ ١٧٥٧م) ابتدأ ترافع الأسعار وشمل ذلك أكثر النواحى والأقطار .. وكان ينقل الطعام من أرض اليمن كزبيد ونواحيها ، ولم يزل الترافع فى ازدياد حتى بلغ حمل الجمل أربعين قرشًا ... ومات عالم كثير بالجوع والمرض وهلكت الأنعام» [٢٤٨].

جـ- صعوبة تضاريس بلاد السراة، وارتفاع درجة الحرارة فى أرض تهامة، كل هذا عاق حركة الإنتاج ، فصعوبة التضاريس يعرقل حركة النقل والمواصلات ، وارتفاع درجة الحرارة ينشر الأمراض، ويقلل من حجم الإنتاج [٢٤٩].

د- انتشار القبائل فى مناطق وعرة، وبُعد هذه القبائل عن المركز السياسى للخلافة الإسلامية، فنشبت الصراعات والحروب القبلية على حدود الأراضى والأودية بسبب النزاع على ملكية الأراضى أحيانًا، وبسبب التعدى على حقوق الجيران ، وبسبب انتشار ظاهرة الأخذ بالثأر أحيانًا أخرى ، فانشغل أهل هذه القبائل عن أعمالهم، ومنها العمل التجارى، كما تخوف تجار المناطق البعيدة من الحضور إلى مناطق المنازعات خوفًا على حياتهم وعلى تجارتهم بسبب غياب الأمن فى هذه المناطق فى بعض الأحيان . وتؤكد بعض الروايات التى ترجع إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) هذه النزاعات أو تذكر تفاصيل هذه الاشتباكات التى كانت تقلق مضاجع الناس، وتشل حركتهم فى شتى المجالات [٢٥٠].

هـ- معاناة التجار والحجاج للجوع والعطش أثناء رحلاتهم ذهابًا وإيابًا ما بين الحجاز وبلادهم ، مما أدى إلى موت الكثير منهم، فتذكر بعض المصادر أنه فى عام (٧٨٢هـ/ ١٣٨٢م) قد أصاب حجاج اليمن عطش شديد هلك على أثره حوالى ألف نسمة[٢٥١]، وفى عام (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) يذكر ابن حجر أنه أصاب الحجاج فى طريقهم إلى مكة المكرمة ، فى ذلك الموسم ، عطش أودى بحياة الكثير منهم[٢٥٢]، ويذكر ابن فهد أنه فى سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م) قد وقع على حجاج البحر من أهل اليمن أمر عظيم ، وهو أنهم لما وصلوا بلدة على طريق الليث خالف عليهم الريح، فخرجوا إلى البر فضاع بهم الدليل عن الماء، فمات منهم خلق كثير [٢٥٣].

و- تهديد قطاع الطرق واللصوص لطرق التجارة والحج، وتهدد أمن طرق التجار والحجاج من بلادهم إلى بلاد الحجاز. فقد أمدتنا المصادر التاريخية بمعلومات غزيرة عن جرائم قطاع الطريق، والاعتداءات التى كانوا يقومون بها على الحجاج والتجار فيقتلونهم ، ويأخذون

أموالهم. وغالبًا ما كان أفراد من بعض القبائل والعشائر الواقعة على الطريق هم الذين يقومون بهذه الأعمال . وفقدان الأمن فى البلاد، ثم الجوع والحاجة هما من الأسباب الرئيسة التى دفعت هذه القبائل إلى الاعتداء على قوافل الحجاج والتجار ونهب أموالهم . ويذكر ابن المجاور ، خلال القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وضع السكان فى إحدى الأجزاء التهامية وقطعهم طريق الحج والتجارة ، فيقول : « ... لم يكن فى جميع العالم أضل من هؤلاء القوم ، ولا أسرف ، ولا أجرم ، ولا أخسر منهم فى أخذ مال الحاج، لأنهم يسمون الحاج جفنة الله، فإذا قيل لهم فى ذلك يقولون - إذا حضر جفنة الله لخلقه أكل منها الصادر والوارد، وإذا قلت لأحدهم : قطع الله رزقك من الحرام ، يقول - لا بل قطع الله رزقك من الحلال، ما ترى عندنا من الخير سوى هذه الجبال السود لا لنا زرع ولاضرع ، ولا أخذ ولا عطاء، وجميع ما تعلمونه أنتم مع حاج آخر جاء مقابل الكعبة من الفضائح والغنائم فسلطنا الله عليكم حتى نستقصى للحاج منكم الحق وثلث الباطل » [٢٥٤].

الخاتمة

ومن هذا العرض نخلص إلى القول بأن بلاد تهامة والسراة قد تمتعت بنشاط تجارى زاهر خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، ساعد على ذلك ما حظيت به تلك الأراضى من بعض المقومات الرئيسة المساعدة على قيام نشاط تجارى متعدد ومتنوع ، حيث توفرت طرق المواصلات التجارية، كما تعددت بها المراكز الحضارية التى تحتوى على أسواق عديدة زاخرة بحركة البيع والشراء للكثير من السلع المحلية، أو تلك التى كان تجار السروات يهتمون بالحصول عليها من المناطق والبلدان المجاورة ، حيث تجد لها سوقًا نافقة ببلاد تهامة والسراة وبخاصة السلع الشرقية الواردة من الشرق الأقصى عن طريق بلاد اليمن الأمر الذى أدى إلى تنشيط حركة التبادل التجارى فى المنطقة.

ونلاحظ أنه على الرغم من وجود بعض معوقات التجارة- كما أسلفنا القول- فانها لم تفت فى عضد النشاط التجارى على أرض تهامة والسراة بل ظل أهلها عبر حقب التاريخ المختلفة يقومون بدور إيجابى ملموس فى تنشيط الحركة التجارية بخاصة والحياة الاقتصادية بعامة فى شتى أنحاء شبه جزيرة العرب.

* * *

وبعد، فنحن من خلال هذا البحث لاندعى استكمال كل ما يتعلق بالتجارة والتجار فى بلاد تهامة والسراة. وإنما اكتفينا بذكر بعض الملامح الهامة لهذا الجانب الهام من جوانب التاريخ الحضارى للبلاد الواقعة فى جنوب المملكة السعودية فى العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة- فتعرفنا على العوامل والأسباب التى أدت إلى ازدهار الدور التجارى لهذه المناطق- داخليًا وخارجيًا فأبرزت ما لقيته التجارة من اهتمام الولاة والحكام حرصًا على توفير السلع اللازمة لمواطنى السروات، عن طريق الاهتمام باصلاح الطرق التجارية وإقامة المحطات لراحة التجار والمسافرين، كما أوضحنا من خلال هذا العرض كيف غمرت شتى المراكز الحضارية بالمنطقة بالعديد من أصناف السلع سواء المنتجة محليًا أو الواردة من بلدان الشرق على اختلافها، والتى قامت على تصريفها مجموعة من الأسواق المتنوعة ما بين أسبوعية ويومية ودائمة ومتخصصة . كذلك أشرنا إلى العامل الجغرافى وكيف كان له أبلغ الأثر فى تبوء هذه المناطق مكانة متميزة فى المجال التجارى ، واختتمنا هذه الدراسة بابراز عدد من

الحقائق تتصل بنظم المعاملات التجارية السائدة فى أسواقها، فأوضحت معرفة بلاد تهامة والسراة للتعامل النقدى وبينت أنواع العملة المتداولة فى أسواقها، وشيوع الاعتماد على النقد الفضى نظراً للتدهور الذى أصاب النقد الذهبى، كما أبرزت وسائل التعامل الأخرى التى شاعت فى أسواق السروات ومنها المقايضة والبيع بالأجل وغير ذلك.

واختتمت الدراسة بعرض موجز لمجموعة من المكاييل والموازين والمقاييس المستخدمة فى بلاد تهامة والسراة وأبرزت أن منها بعض الوحدات اشتركت فى استعمالها مع مثيلاتها من بلدان الشرق، وأوضحت كيف أن هذه الوحدات كانت عيارتها تختلف باختلاف المدن من ناحية، ونوعية السلع المباعة بهذه الوحدات من ناحية أخرى. كذلك أثبت معرفة بلاد تهامة والسراة لنظام الحسبة والمحتسب شأنها فى ذلك شأن غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى .

الهوامش

١- انظر جمال الدين محمد بن منظور . لسان العرب. نسقه وعلق عليه علي شيري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) جـ ٦٠-٦١ (مادة : تهم) ؛ إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (معلومات النشر بدون، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) جـ٥ ، ص١٨٧٨ (مادة: تهم)، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي . معجم البلدان (بيروت : دار صادر (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) جـ٢ (مادة : تهامة) ص٦٣ ومابعدها.

٢- محمد بن حبيب (البغدادي). كتاب المنمق في أخبار قريش . صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق (بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص٥٢ وما بعدها، لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني. صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد ابن علي الأكوع (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ص١٨١ وما بعدها ؛ أبومعين الدين ناصر خسرو. سفر نامة (رحلة ناصر خسرو) ترجمه عن الفارسية وحققه. أحمد خالد البدلي (جامعة الملك سعود): عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨٣م) ص١٤١ وما بعدها ، جمال الدين يوسف بن المجاور. صفة بلاد اليمن، ، ومكة ، وبعض الحجاز . المسمى تاريخ المستبصر. تحقيق أوسكر لوفغرين (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٥١م) جـ١ ، ص١٧ وما بعدها.

٣- الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص٦٥ ، ٦٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٣٤١ ، محمد بن أحمد العقيلي. المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان، منشورات نادي جازان الأدبي (القاهرة : مطابع نهضة مصر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص٢١٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ؛ أحمد ابن عمر الزيلعي . الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامي الوسيطة (الرياض : الفرزدق ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص٧٥ وما بعدها ، عبدالله محمد أبو داهش . أهل تهامة : المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب وأحوازها في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠-١٢٠٠هـ / ١٠٠٩-١٧٨٥م) (الرياض : مكتبة العبيكان ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ص٢٤ وما بعدها .

٤- المصادر نفسها، كما انظر : عاتق بن غيث البلادي . بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة: دار مكة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م) ص٢٨ وما بعدها ، أيضًا الباحث له خبرة بهذه المواطن كونه زارها وتجول في أرجائها مرات عديدة وفي أوقات مختلفة على مدار عشرين عامًا (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م- ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) .

٥- انظر، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ٢ (مادة : حجاز) ص٢١٩ ؛ زكريا بن محمد بن محمود القزويني . آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص٨٤-٩٠ ، صالح أحمد العلي. «تحديد الحجاز عند المتقدمين « مجلة العرب (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) جـ١،

ص١-٩؛ عبدالله الوهيبى . «الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب » مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض (الملك سعود حاليًا) جـ١ (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ص٥٣ وما بعدها .

٦- المصادر نفسها ، أيضًا أنظر غيثان بن على بن جريس «بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوئل » ، مجلة المؤرخ العربى العدد الثانى ، المجلد الأول (مارس / ١٩٩٤م) ص٧٢ وما بعدها .

٧- لمزيد من التفصيلات عن هذه السروات انظر، الهمدانى، صفة جزيرة العرب، ص٢٤٩ وما بعدها، عاتق البلادى. بين مكة وحضرموت ، ص١٤ وما بعدها ، غيثان بن على بن جريس . «بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى «مجلة الدارة. عدد (٣) سنة ١٩ (ربيع الآخر والجماديان/ ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص٧٦ وما بعدها .

٨- المصادر نفسها.

٩- المصادر نفسها، بالإضافة إلى كتاب، عبد الرحمن صادق الشريف . جغرافية ، المملكة العربية السعودية . (إقليم جنوب غرب المملكة) (الرياض : دار المريخ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص١٣٣ وما بعدها .

١٠- المصادر نفسها التى وردت فى حاشيتى (٩،٨) .

١١- عبد الرحمن صادق الشريف ، المرجع السابق ، ص١٣٧ وما بعدها ، صالح بن على ابن عبد الرحمن الشمرانى «أشكال المدرجات الزراعية ، وتوزيعها المكانى، وأهميتها فى إقليم السراة جنوب غربى المملكة العربية السعودية» ثم نشر هذا البحث ضمن سلسلة بحوث العلوم الاجتماعية، بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى، جامعة أم القرى (مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ص٢٣ ؛ غيثان بن على بن جريس. عسير : دراسة تاريخية فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ / ١٦٨٨-١٩٨٠م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ص١٩ وما بعدها .

١٢- المصادر نفسها .

١٣- محمد بن أحمد العقيلى . تاريخ المخلاف السليمانى (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) جـ١ ، ص٦٧ وما بعدها ، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع. اليمن فى صدر الإسلام (دمشق: دار الفكر ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) ص٤٩ وما بعدها ، غيثان بن جريس «بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى »، ص٧٨ وما بعدها .

١٤- انظر : أبو عبدالله عمر الواقدى. فتوح الشام (بيروت : دار الجيل : د.ت ، جـ١ ص٥ وما بعدها ؛

محمد بن عبدالله الأزدى . تاريخ فتوح الشام. تحقيق عبد المنعم عبدالله عامر (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص١٢٨ وما بعدها، أبو محمد أحمد بن أعثم . كتاب الفتوح ، مصور من طبعة حيدر آباد بالهند (بيروت: دار الندوة ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) جـ١ ص١٠٤، ١١٤ وما بعدها ؛ نزار عبد اللطيف الحديثى. أهل اليمن فى صدر الإسلام (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د.ت) ص١٢٥ وما بعدها ، عبد الرحمن الشجاع . اليمن فى صدر الإسلام ، ص٢٩٣ وما بعدها .

١٥- لمزيد من التفصيلات عن مراسلات الرسول (ﷺ)والخلفاء الراشدين من بعده، انظر . ابن حبيب . كتاب المنمق ، ص١٩٩-٢١١، جمال الدين ابن الجوزى. صفة الصفوة ، تحقيق محمود فاخورى ومحمد رواس قلعجى (حلب : دار الوعى، محمد بن جرير الطبرى. تاريخ الأمم والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت : دار سويدان ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) جـ٣ ، ص١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٦، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية. زاد المعاد فى هدى خير العباد. تحقيق شعيب الأرناؤوط وأخرين (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) جـ٣، ص٦٢٠ وما بعدها ؛ محمد حميد الله. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة والراشدة (بيروت : دار النفائس، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص٢٤١، ٢٨٩، ٢٩٠ وما بعدها .

١٦- انظر : جميع المصادر الواردة فى حاشيتى (١٤،١٥) ، كما انظر عبد الواحد محمد راغب دلال. البيان فى تاريخ جازان وعسير ونجران (القاهرة : مطالع دار التعاون للطبع والنشر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ص٢٥٤ وما بعدها ، غيثان بن على بن جريس «تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى «مجلة العصور. مج (٩) جـ (١) (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ص٦٣ وما بعدها .

١٧- لمزيد من التفصيلات عن اهتمامات خلفاء بنى أمية والخلفاء الأول من بنى العباس ببلاد تهامة والسراة ، وارسال الولاة إلى الحجاز ، والذين هم بدورهم يمدون إصلاحاتهم وأعمالهم إلى هذه البلاد موضوع الدراسة، انظر : محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. تحقيق رشدى الصالح ملحس (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) جـ١، ص١٨٨، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ؛ عبد الرحمن الشجاع . اليمن فى صدر الإسلام، ص٢٩٣ وما بعدها .

١٨- المصادر نفسها، كما انظر عبد الواحد دلال. البيان، ص٢٥٠ ، وما بعدها ، كما انظر أيضًا : عصام الدين عبد الرؤوف الفقى. اليمن فى ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بنى رسول (القاهرة: دار الفكر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص٢١٩ وما بعدها.

١٩- انظر المصادر التى وردت فى حاشيتى (١٧،١٨) ، كما انظر: ابن جريس «بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة ...» ص٧٨ وما بعدها : عبدالله أبو داهش. أهل تهامة ، ص١٠٨ وما بعدها،

وللمؤلف نفسه انظر : أهل السراة فى القرون الإسلامية الوسيطة (معلومات النشر غير مذكورة) (١٤١٧هـ) ، ص٥١ وما بعدها .

٢٠- انظر : أبوالفرج الأصفهانى. كتاب الأغانى (بيروت : مؤسسة جمال للطباعة، عن طبعة دار الكتب المصرية، د.ت) جـ١٣ ، ص٦٤ وما بعدها؛ محمد بن سلام الجحمى . طبقات فحول الشعراء . قراءة وشرح محمود شاكر (القاهرة : مطبعة المدنى . د.ت) جـ٢، ص٥٨٣، ٥٩٣، ٦٢٥ . وعن المعادن ومواطنها وأهميتها فى شبه الجزيرة العربية وخاصة فى بلاد تهامة والسراة وكذلك أرض اليمن ، انظر: الحسن بن أحمد الهمدانى. كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (السويد: ابسالا ، ١٩٦٨م) ، ص١٣٧ وما بعدها .

٢١- انظر معلومات أكثر فى المصادر والمراجع الواردة فى الحواشى الآنفة الذكر (١٨، ١٩، ٢٠). وعن الحسبه وما يقوم به المحتسب من أعمال ، انظر : يحيى بن عمر. كتاب النظر والأحكام فى جميع أحوال السوق (تونس ، د.ت/ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) ص٦٥ وما بعدها ، ضياء الدين محمد بن الأخوة. كتاب معالم القربة فى أحكام الحسبة. تحقيق محمد شعبان (القاهرة ، د.ت / ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦) ص٧٧ وما بعدها .

٢٢- المصادر نفسها .

٢٣- انظر : أحمد بن عبدالله القلقشندى. مآثر الآنافة فى معالم الخلافة . تحقيق عبد الستار أحمد فرج (مطبعة الكويت، طبعة مصورة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) جـ١، ص١٨٦: تقى الدين المقريزى. الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك. تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة، د.ت، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م) ص٤٥ ، أحمد العلى «طرق المواصلات فى الحجاز» مجلة العرب (الرياض، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) جـ١١ ، سنة (٢) ، ص٩٧٥ وما بعدها ، حسين على المسرى «نجران ودورها السياسى والاقتصادى» مجلة المؤرخ المصرى (جامعة القاهرة : كلية الآداب ، العدد (٩) يوليو (١٩٩٢) ، ص٧٧-٨٢ وما بعدها .

٢٤- انظر: أبو الفرج قدامة : نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة. ملحق بكتاب ابن خرداذبة المسالك والممالك . تحقيق أم . دى غوى (ليدن : مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م) ، ص١٨٨-١٨٩، ابن جريس «بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون ...» ص٧٤ وما بعدها .

٢٥- انظر معلومات أكثر عن الخيزران عند شمس الدين أبو العباس ابن خلكان. وفيات الأعيان (بيروت، دار صادر (١٣٩٧هـ/ ١٩٦٧م) ، جـ١، ص٢٧٣، ٤٢٧ ، جـ٢ ، ص٣٢٦، ٣٨٩، جـ٤، ص٢٢٧ ، ٢٧٧ .

٢٦- انظر : القلقشندى، مآثر الأنافة ، جـ١، ص٨٦ ، حسين المسرى «نجران ودورها السياسى...» ص٨٣ وما بعدها .

٢٧- انظر الأزرقى «أخبار مكة ، جـ٢، ص٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧ ، قدامة ، كتاب الخراج ، ص١٨٨ ، المقريزى ، الذهب المسبوك، ص٤٥ وما بعدها ، حسين المسرى «نجران ودورها السياسى...»، ص٨٤ وما بعدها .

٢٨- المصادر نفسها .

٢٩- ناصر خسرو، سفر نامة، ص١٤١-١٤٢ .

٣٠- ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، جـ١ ، ص٣٧ .

٣١- وقد لمس الباحث سيطرة القبيلة وسطوتها من خلال رصده لتاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المتأخرة الماضية، كما أيضًا وجد ذلك واضحًا من خلال استقرائه للعديد من الوثائق السياسية والحضارية فى الثلاثة القرون الماضية. وللمزيد من التفصيلات انظر : غيثان بن على بن جريس . بلاد بنى شهر وبنى عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (ابها : مطابع مازن، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ص١٦ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه، صفحات من تاريخ عسير (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) جـ١، ص١٥ وما بعدها .

٣٢- انظر : أحمد السباعى. تاريخ مكة (دراسات فى السياسة والعلم والاجتماع والعمران) (مكرمة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ط٤، جـ١ ص١٤٨وما بعدها ، كما انظر: عبدالله أبوداهش. أهل السراة ، ص٢٩ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه. أهل تهامة، ص٤٥ وما بعدها . (وعن تاريخ مكة المكرمة فى العصور الوسطى، وكيف كان وضع طبقات الأشراف بها، سياسيًا وحضاريًا) انظر ، تقى الدين محمد محمد بن أحمد الفاسى. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء (بيروت، معلومات النشر غير مذكورة) جزءان.

٣٣- وعن موقع بلاد تهامة والسراة، وأهميتها الحضارية ، وصلاتها مع جيرانها من أهل اليمن والحجاز، انظر ، الهمدانى ، صفة جزيرة العرب، ص٩٩ وما بعدها ، جواد على. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت : دار العلم، بغداد : مكتبة النهضة، ١٩٧٨م) ط٢، جـ٧ ، ص٩٧ وما بعدها .

٣٤- انظر: سورة قريش فى القرآن الكريم وتفسيرها فى تفسير القرآن الكريم لابن كثير (بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ، جـ٤، ص٥٩٢ .

٣٥- الهمدانى ، صفة جزيرة العرب، ص٩٩ وما بعدها، جواد على، المفصل ، جـ٧ ، ص١٠١ وما بعدها،

Patricia Crone . Meccan Trade, and the Rise of Islam. (Oxford, 1987) pp. 12 ff.

٣٦- المصادر نفسها. وعن جغرافية بلاد تهامة والسراة، انظر : عبد الرحمن صادق الشريف . جغرافية المملكة ، جـ٢، ص٣٣ .

٣٧- جواد على ، **المفصل** ، جـ٧ ، ص٣١٧ . أيضًا يروى لنا بعض المسنين فى جنوب المملكة العربية السعودية عن معاناتهم فى الماضى، وأن الدواب مثل: الجمال، والحمير كانت الوسيلة الرئيسة فى نقل بضائعهم وحوائجهم المختلفة. كما أن الباحث شاهد نشاطات الناس فى هذه المناطق خلال الأربعين سنة الماضية كونه عاش معهم ومارس مع أهله العديد من الحرف والمهن المختلفة.

٣٨- المصادر نفسها.

٣٩- ويظهر أن هذه العقاب كانت مسلوكة خلال العصور الإسلامية الوسيطة، ولكن فى العصر الحديث تدخلت الآلات الحديثة فشقت الطرق الممهدة التى أصبحت تستخدم بالسيارات، وصارت شريان حيوى يربط الجبال السروية بالأراضى التهامية. ومن أهم تلك العقاب الممهدة اليوم ما يلى: عقبة بنى سعد جنوبى الطائف ، يليها عقبة غامد وزهران ، المعروفة بـ (المخواة) ، ثم عقبة الأبناء، ثم عقبة بنى عمرو، فعقبه تلاع، ثم عقبة سنان التى تنحدر من أرض النماص إلى بلاد خاط والمجاردة ، ثم عقبة ساقين ، وعلى مقربة من شمال أبها تأتى عقبة شعار، أو (عقبة تيه) ، ثم عقبة ضلع المنحدرة من مدينة أبها إلى جازان، ثم عقبة الفرشه ببلاد قحطان، وغيرها من الممرات والعقاب الأخرى. مشاهدات الباحث وانطباعاته أثناء تجواله فى هذه البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران ، ولمرات عديدة.

٤٠- انظر سورة الفيل فى القرآن الكريم، وتفسيرها فى تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص٥٨٦، انظر : أيضًا الأزرقى، **أخبار مكة**، جـ١، ص١٣٦ وما بعدها .

٤١- المصادر نفسها، جواد على، **المفصل** ، جـ٤ ، ص١٥٨ وما بعدها .

٤٢- انظر مقالة حسين المسرى «نجران ودورها السياسى والاقتصادى ...»، ص٤٢ وما بعدها . انظر أيضًا : ابن جريس «بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة...» ص٧٥ وما بعدها .

٤٣- المراجع نفسها. كما أن الباحث تجول فى أنحاء عديدة من المناطق التى مر بها درب الفيل، وقابل البعض من المعمرين هناك، وسمع بعضهم يطلق اسم «درب الفيل» أو «درب أسعد» على أجزاء من تلك المواطن . وإننى أحث أقسام الآثار العلمية فى جامعات المملكة أن تولى هذا الطريق وهذه الأجزاء بعض الاهتمام من الدراسة والتنقيب.

٤٤- نزار عبداللطيف الحديثى. **أهل اليمن فى صدر الإسلام**، ص٣٧ وما بعدها، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع. **اليمن فى صدر الإسلام**، ص٧٧ وما بعدها.

٤٥- أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبة . كتاب المسالك والممالك ، تحقيق ام . دى غوى (ليدن: مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م) ، ص١٣٣ وما بعدها .

٤٦- قدامة، كتاب الخراج، ص١٨٨-١٨٩، ١٩٢-١٩٣ .

٤٧- أبو اسحاق الحربى. كتاب المناسك ، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. تحقيق حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) .

٤٨- أحمد بن اليعقوبى . كتاب البلدان . تحقيق أم . دى غوى (ليدن : مطبعة بريل، ١٨٩٢م) ص٣١٦ وما بعدها .

٤٩- الهمدانى . صفة جزيرة العرب ، ص٣٣٩ وما بعدها .

٥٠- شمس الدين أبوعبدالله المقدسى. أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. تحقيق أم. دى غوى (ليدن : مطبعة بريل، ١٨٧٧م) ص١١١ وما بعدها .

٥١- محمد بن محمد الإدريسى. كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق. (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) جـ١ ، ص١٤٥ وما بعدها .

٥٢- حسين المسرى «نجران ...» ص٧٧ وما بعدها ، عبد الواحد دلال. البيان، ص٢٥٠ وما بعدها .

٥٣- الهمدانى ، صفة جزيرة العرب، ص٣٣٩ وما بعدها.

٥٤- المصدر نفسه، ص٣٤٠ .

٥٥- المصدر نفسه ، ص٣٤١ .

٥٦- ابن خرداذبة ، المسالك ، ص١٣٤ وما بعدها.

٥٧- وطلحة الملك تقع اليوم فى الأجزاء الشرقية من ظهران الجنوب فى بلاد قحطان ، إلى الشمال من مدينة نجران.

٥٨- قدامة، كتاب الخراج، ص١٨٨-١٨٩ .

٥٩- الإدريسى ، نزهة المشتاق، جـ١ ، ص١٤٥ ، ١٤٦ .

٦٠- انظر عصام الفقى. اليمن فى ظل الإسلام، ص٢٢٧ وما بعدها، حسين المسرى «نجران ...»، ص٨٢ وما بعدها، جميل حرب، محمود حسين. الحجاز واليمن فى العصر الأيوبى (جدة : دار تهامة للنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص١١٧ وما بعدها.

٦١- جواد على . تاريخ المفصل ، جـ٧ ، ص٢٨٥ ، حسين المسرى. «نجران ...» ص٨٢ وما بعدها .

٦٢- المراجع نفسها. ولمزيد من التفصيلات عن مخلاف جرش (منطقة عسير الحالية) انظر : غيشان بن

علي بن جريس «تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى» مجلة العصور (رجب ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) مجلد (٩) الجزء الأول، ص٦٣-٧٧ .

٦٣- انظر : محمد بن أحمد الحجرى . مجموعة بلدان اليمن وقبائلها. تحقيق إسماعيل ابن على الأكوع (بيروت : مطابع دار النفائس ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) مج٢ ، ج٣، ص٦٠٤ ، عبدالله أبو داهش. أهل السراة، ص٥٤ .

٦٤- محمد بن سعيد بن عوض آل رداد الاسمرى . تاريخ رجال الحجر، المسمى: نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر . (جدة : مكتبة السوادى، ١٤١٧هـ)، ص١٤٩، ١٧٢ ، ١٨٣ ؛ عبدالله أبو داهش. أهل السراة، ص٥٤-٥٥ .

٦٥- لمزيد من التفصيلات عن الجيوش العثمانية وكيف كانت تأتى عبر بلاد تهامة والسراة ما بين اليمن والحجاز ، انظر : شرف بن عبد المحسن البركاتى. الرحلة اليمانية . تحقيق عبدالله بن عبد الرحمن إلياس (بيروت : دار نشر تراث العرب، ١٣٨٦هـ) ، ص٤٣ وما بعدها، غيثان بن جريس ، بلاد بنى شهر ، ص١١٥ وما بعدها .

٦٦- انظر: عبدالله بن على العمودى. تحفة القارىء والسامع فى اختصار تاريخ اللامع (مخطوط) ، ص٢١؛ نجم الدين عمارة بن على اليمنى . تاريخ اليمن المسمى المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد. تحقيق محمد على الأكوع الحوالى (بيروت : مطابع دار العلم، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص١٠٠ وما بعدها ، ويلاحظ أن هذا الطريق بدأ أهميته فى التضاؤل تدريجيًا مع قيام الدويلات المستقلة باليمن كالدولة الزيادية والدولة الصليحية وغيرهما ، حيث تحول حكام هذه الدويلات عن هذا الطريق إلى الطريق الساحلى عبر تهامة.. وساعد على هذا التحول العداء القائم بين الدولة الزيدية بصعدة وبين حكام الدويلات اليمنية فى الوسط والجنوب، الأمر الذى عرقل سير القوافل إذا ما اتخذت طريقها عبر الجبال عند صعدة فى طريقها عبر السراة إلى الحجاز، كما ساعد على هذا التحول.. قلة عناية الحكام بتعبيده منذ هذه الفترة مما زاد من وعورة مسالكه عبر الممرات الجبلية الضيقة التى كانت لاتسمح فى بعض أجزائها إلا بمرور الواحد تلو الآخر مما أدى فى النهاية إلى تقلص النشاط التجارى عبره وتحوله إلى طريق الساحل التهامى، انظر عصام الفقى. اليمن فى ظل الإسلام ، ص٧٩ وما بعدها ، عبد الواحد دلال. البيان ، ص٢٥٠ وما بعدها .

٦٧- محمد بن أحمد الحجرى- مجموعة بلدان اليمن ، مج٢ ، جـ٣ ، ص٦٠٤ .

٦٨- المقدسى، أحسن التقاسيم ، ص٨٦ ، ناصر خسرو، سفر نامة، ١٤١-١٤٢، ابن المجاور، تاريخ المستبصر ، جـ١ ، ص٣٧ .

٦٩- مشاهدة ومعاصرة الباحث لهذه العلاقات ، إلى جانب حصوله على عشرات الوثائق الحديثة وهى تعكس علاقة الأحلاف القبلية بين سكان أهل السراة مع بعضهم البعض، وكذلك مع سكان أهل تهامة مع أهل السراة.

٧٠- معاصرة الباحث للكثير من الجوانب الحضارية ببلاد تهامة والسراة خلال العقود الأربعة الأخيرة.

٧١- انظر: البركاتي، الرحلة ، ص٤٣ وما بعدها ، ابن جريس، بلاد بنى شهر وبنى عمرو ، ص١١٥ وما بعدها .

٧٢- عبور الباحث لأغلب هذه العقاب ، ومشاهدة بعض النقوش والرسوم فى العديد من أجزائها مما يدل على أنها كانت تستخدم بالتجار وأهل البلاد يوم أن كانت وسائل نقلهم الجمال والحمير فقط.

٧٣- انظر الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص٣٤١ وما بعدها .

٧٤- انظر : عمارة اليمنى، تاريخ اليمن، ص٧٦-٨١ ، كما انظر معلومات أكثر العمودى ، تحفة القارىء ، ص٧٨-٨٢ ، عبد الرحمن بن على بن محمد الزبيدى، ابن الديبع. قرة العيون بأخبار اليمن الميمون . تحقيق محمد على الأكوع (معلومات النشر بدون) جـ١ ، ص٣٢٧-٣٣٠ .

٧٥- عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن، ص٧٧ وما بعدها .

٧٦- المصدر نفسه.

٧٧- الحربى، كتاب المناسك، ص٦٤٦-٦٤٧ .

٧٨- انظر: أحمد بن عمر الزيلعى «المواقع الإسلامية المندثرة فى وادى حلى ق٣- ٩هـ / ٩-١٥م» حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت (٣٩) الحولية (٧) (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص١١ ، ١٢ .

٧٩- محمد الحجرى . مجموعة بلدان اليمن، مج٢ ، جـ٣، ص٦٠٤ . عبد الله أبو داهش ، أهل السراة، ص٥٥ ، وللمؤلف نفسه. أهل تهامة، ص١٢٧ .

٨٠- عبدالله أبوداهش ، أهل تهامة ، ص١٢٨ ، انظر أيضًا « أرجوزه الحج » تحقيق أحمد الشامى . مجلة العرب (جـ٥ -٦ / سنة ٢٩ / ذو القعدة والحجة / ١٤١٤هـ) ، ص٣٢٤ .

٨١- المراجع نفسها.

٨٢- الشقيق : البلدة المعروفة فى زماننا . انظر العقيلى ، تاريخ المخلاف السليمانى، جـ١ ، ص٢١٦ .

٨٣- محمد أحمد العقيلى. من أدب جنوب الجزيرة (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٩١م) ، ج١ ، ص١٩٩-٢٠٠ . أبو داهش، أهل تهامة، ص١٢٨ .

٨٤- لمزيد من التفصيلات انظر : حسن إبراهيم الفقيه . مخلاف عشم (الرياض: مطابع الفرزدق ،

١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، ص٢٠٢ وما بعدها، وللمؤلف نفسه. مدينة السرين الأثرية (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص٩٣ وما بعدها. أحمد عمر الزيلعى الخُلْفُ والخليف ، آثارهما ونقوشهما الإسلامية (الرياض : مطابع الخالد، ١٤١٧هـ) ، ص٨٣ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه، نقوش إسلامية من حَمْدانَه بوادى عليب (الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ص٣٩ وما بعدها ، عاتق البلادى، بين مكة وحضرموت ، ص١١ وما بعدها .

٨٥- انظر : موريس تاميزية . رحلة فى بلاد العرب : الحملة المصرية على عسير (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م) ترجمة محمد بن عبدالله آل زلفة (الرياض : مطابع الشريف، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) . ولمزيد من التفصيلات انظر : غيثان بن على بن جريس «إقليم عسير فى عيون الرحالة الأوربيين» بحث قدم ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ونشر ضمن بحوث الندوة فى كتاب : العرب وأوربا عبر عصور التاريخ (بحوث ودراسات) (القاهرة : منشورات اتحاد المؤرخين العرب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) .

٨٦- انظر البركاتى، الرحلة، ص٢١ وما بعدها ، وللمزيد من التفصيلات عن تاريخ مدينة أبها حاضرة منطقة عسير انظر. غيشان بن على بن جريس. أبها حاضرة عسير (الرياض: مطابع الفرزدق ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ص١٥ وما بعدها.

٨٧- انظر البركاتى، الرحلة، ص٢١ وما بعدها .

٨٨- وعن أهمية البحر الأحمر فى مجال التجارة عبر العصور التاريخية ، وخاصة العهد الإسلامى المبكر والوسيط ، انظر العديد من الدراسات فى كتاب: - البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية والمعاصرة . (القاهرة، ١٩٨٠م) ، وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة أبحاث علمية محكمة قدمت فى سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس فى الفترة الممتدة من (١٠-١٥مارس / ١٩٧٩م) تحت إشراف الأستاذ الدكتور / أحمد عزت عبد الكريم.

٨٩- انظر، عمر فاروق. «الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية» مجلة العرب (١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م) ج١ ص٢١ وما بعدها ؛ غيثان بن على بن جريس. بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية. تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور (الإسكندرية : دار المعرفة، ١٩٩٤م) ، ص٦١ وما بعدها .

Umar Farug "Some Aspects of the Abbasid- Husanid Relations during the Early Abbasid Period 132-193 A. H/ 750-809 A.D" Arabica . vol XXII (1975) pp. 170-9 .

٩٠- انظر كتاب : البحر الأحمر الآنف الذكر فى حاشية (٨٨) ، وخاصة الدراسات الواردة فى هذا الكتاب والمتعلقة بالتاريخ الحديث.

٩١- انظر: حمد الجاسر . «حول الجار والشعيبه» مجلة العرب (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ج١، ١٢ ، ص١١٧٠-١١٧٢ .

٩٢- لمزيد من التفصيلات عن القنفذة انظر : عاتق بن غيث البلادى. بين مكة واليمن ، رحلات ومشاهدات (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ، ص١١٢-١٣٨ .

٩٣- عرام السلمى. كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها (القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م) ص٣٩٩ ، المقدسى، أحسن التقاسيم ، ص٨٤ وما بعدها. ولمزيد من التفصيلات عن الطريق التجارى البحرى فى البحر الأحمر، وأهمية الموانىء الواقعة على هذا البحر انظر:

Angelo Pesce. **Jiddah : Portrait of an Arabian City** (London, 1975) pp. 17 ff, Magbul Ahmad. " Commercial Relations of India with the Arab (1000 B. C. Up to Modern Times)" **Islamic Culture**. vol . XXX VIII (1946) pp. 141 ff .

٩٤- غيثان بن جريس . بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية ، جـ١ ، ج١١ وما بعدهما، كما انظر للمؤلف نفسه «الهجرات العربية إلى ساحل شرق أفريقيا فى العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجرى » بحث منشور فى كتاب: بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية ، الجزء الثانى، للمؤلف نفسه، (الاسكندرية: دار السماح، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٣٧ وما بعدها .

٩٥- انظر المراجع الآنفة الذكر فى حاشية (٩٣) ، كما انظر معلومات أكثر عند السيد محمد يوسف «علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجرى» مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (١٩٥٣م) ١٥ ، ص٢ وما بعدها، محمد إبراهيم زغروت «العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامى فيها خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين » مجلة الدارة (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ج١١، ص١١٣ وما بعدها .

٩٦- انظر : حسن صالح شهاب . عدن فرضه اليمن (صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص٧٩ وما بعدها ، ابوداهش. أهل تهامة، ص٢٣ وما بعدها، ابن جريس «الهجرات العربية إلى ساحل شرق أفريقية.. » ص٤٥ ومابعدها.

٩٧- الحسن بن أحمد عاكش. الديباج الخسروانى بذكر ملوك المخلاف السليمانى (مخطوط) ورقة (٤) ، نزار الحديثى. أهل اليمن، ص٣٧ ومابعدها .

٩٨- الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٥٨-٢٥٩ ، لقد شرح محمد العقيلى أغلب المواطن التى ذكرها الهمدانى ،.انظر : المعجم الجغرافى لمقاطعة جازان، ص٧٠ ، ٨٤، ١٩٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ .

٩٩- الهمدانى ، صفة ، ص٢٥٩ .

١٠٠- المصدر نفسه .

١٠١- اليعقوبى ، البلدان ، ص٣١٨ .

١٠٢- الهمدانى، صفة جزيرة العرب ، ص٣٤٢ .

١٠٣- يحيى بن الحسين، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى . تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة : دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) جـ١ ، ص٣٧٧ .

١٠٤- عاكش ، الديباج الخسروانى، ص٩ ، أبو داهش، أهل تهامة، ص٣٠ .

١٠٥- العقيلى، المعجم الجغرافى لمقاطعة جازان، ص٥٩ ، أبو داهش، أهل تهامة، ص٣١ .

١٠٦- اليعقوبى ، البلدان ، ص٣١٩، ٣٢٠ .

١٠٧- الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص١٢٦ ، ٢٥٩ ، ٣٨١ .

١٠٨- اليعقوبى، البلدان ، ص٣١٩ ، ٣٢٠، عمارة اليمنى، تاريخ اليمن، ص٦٥ ، ٦٦ .

١٠٩- محمد الحجرى، مجموعة بلدان اليمن، مج١ ، جـ١ ص١١٧ ، ياقوت الحموى. معجم البلدان، جـ١، ص٣٣٩-٤٠٠ .

١١٠- يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، جـ١ ، ص٤٣٣، عبد الرحمن (ابن الديبع) ، الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار زبيد. تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت ، د.ن ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ، ص٨٢ ، ٨٣ .

١١١- الهمدانى، صفة ، ص٣٤١ .

١١٢- الأزرقى، أخبار مكة، جـ١، ص١٩١ .

١١٣- المقدسى، أحسن التقاسيم ، ص٨٦ .

١١٤- حسن الفقيه ، مدينة السرين، ص٥٩ ، ٦٠ .

١١٥- نجم الدين عمر بن فهد. اتحاف الورى بأخبار أم القرى. تحقيق فهيم شلتوت (معلومات النشر بدون)، جـ٣ ، ص٦٩ ؛ عبدالله أبو داهش. أهل تهامة، ص٣٧ .

١١٦- ابن خرداذبة ، المسالك ، ص١٣٣ ، اليعقوبى، البلدان، ص٣١٦، الإدريسى، نزهة المشتاق، جـ١ ، ص١٤٥ .

١١٧- المصادر نفسها .

١١٨- ياقوت الحموى ، معجم ، جـ٤ ، ص١٢٦ ؛ حسن الفقيه ، مخلاف عشم، ص١٦ ، ١٩ .

١١٩- محمد الحجرى، مجموعة بلدان اليمن ، مج١ ، ج١ ، ص٢٨٠ .

١٢٠- أحمد الزيلعى «المواقع الإسلامية المندثرة فى وادى حلى»، ص١١ .

١٢١- محمد بن عبدالله بن بطوطة . رحلة ابن بطوطة . تحقيق على المنتصر الكتانى (بيروت : مؤسسة

الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ج١ ص٢٧١ .

١٢٢- أحمد الزيلعى «المواقع المندثرة فى وادى حلى ...» ، ص١٨ .

١٢٣- المرجع نفسه.

١٢٤- تجوال الباحث فى مدن وقرى تهامة خلال عام (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، وشاهد أن كثير من المدن الحضارية الحديثة هناك قد قامت على أنقاض أو قريبة من المراكز الحضارية القديمة. والرسوم والنقوش والآثار تؤكد على أهمية ما ذكرنا ، ولازالت المنطقة تحتاج إلى دراسات أثرية متأنية لتوضح العمق التاريخى والحضارى لهذه البلاد.

١٢٥- المرجع نفسه .

١٢٦- الهمدانى، صفة جزيرة العرب، ص٣٣٨-٣٤٠ .

١٢٧- حسين المسرى «نجران ...» ، ص٤١-٩٠ ؛ محمد الأكوع الحوالى . اليمن الخضراء مهد الحضارة (القاهرة : مطبعة السعادة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ، ص١٤٩ ، ولمزيد من المعلومات فى بعض المصادر التاريخية المبكرة، انظر : أحمد بن يحيى البلاذرى. فتوح البلدان (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦م) ص٧٩ ، محمد بن عبد المنعم الحميرى. الروض المعطار فى أخبار الأقطار (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٥م) ص٥٧٣ يحيى بن الحسين. غاية الأمانى، ج١، ص٩٦ .

١٢٨- المصادر والمراجع الآنفة الذكر فى حاشيتى (١٢٦، ١٢٧)، بالإضافة إلى ابن المجاور، تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨٩ ، ٩٧ ، ١٤٠، صالح العلى «طرق المواصلات فى الحجاز » مجلة العرب (الرياض ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) ، جـ١١، سنة (٢) ، ص٩٧٥ .

١٢٩- انظر : ابن جريس « تاريخ مخلاف جرش ...»، ص٦٣ ومابعدها .

١٣٠- زيارة الباحث لمدينة جرش فى عام (١٤١٣-١٤١٤هـ / ١٩٩٣-١٩٩٤م) ومشاهدته للعديد من الآثار والنقوش التى تعود إلى القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة.

١٣١- المرجع نفسه .

١٣٢- الهمدانى، صفة جزيرة العرب، ص٢٥٥ وما بعدها .

١٣٣- المصدر نفسه .

١٣٤- المصدر نفسه، انظر : ابن جريس «بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى» ، ص٧٦ وما بعدها .

١٣٥- جواد على ، المفصل ، جـ٧ ، ص٣٦٥ وما بعدها ، سعيد الأسمرى. تاريخ رجال الحجر، ص١٧٣ وما بعدها ، ابن جريس « تاريخ مخلاف جرش ... » ، ص٦٥ وما بعدها ، عبدالله أبوداهش. أهل السراة ، ص٥٣، حسين المسرى « نجران ... » ص٨٢ ومابعدها .

١٣٦- المراجع نفسها، انظر أيضًا ، قدامة ، الخراج ، ص١٨٩ ، ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٣٧ .

١٣٧- المصادر والمراجع الآنفة الذكر فى حاشيتى (١٣٥-١٣٦) .

١٣٨- المصادر والمراجع نفسها .

١٣٩- المصادر والمراجع نفسها .

١٤٠- المصادر والمراجع نفسها.

١٤١- المصادر والمراجع نفسها .

١٤٢- انظر: حسين المسرى «نجران ... »، ص٨٢ وما بعدها عبدالله أبوداهش، أهل تهامة ١٠٩، وللمؤلف نفسه أهل السراة، ص٥٢-٥٣ ابن جريس «تاريخ مخلاف جرش... »، ص٦٣ وما بعدها .

١٤٣- ابن المجاور ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٠٩ .

١٤٤- الهمدانى ، صفة ، ص٧٦ .

١٤٥- المقدسى ، أحسن ، ص٨٦ .

١٤٦- ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١ ، ص٥٣ .

١٤٧- المقدسى، أحسن ، ص٨٦ .

١٤٨- الأسواق الأسبوعية القديمة تعد بالعشرات بل بالمئات فى بلاد تهامة والسراة، فالباحث فى إحدى جولاته بهذه البلاد خلال الأعوام الثلاثة (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) حصر ما يزيد عن مائتين وخمسين سوقًا فى المنطقة الواقعة بين جازان وعسير جنوبًا إلى تهامة وسراة قبائل بنى سعد جنوبى الطائف ومكة المكرمة . وشاهد أن بعض تلك الأسواق لازالت تعمل فى أيام معلومة من كل أسبوع . المصدر : مشاهدات الباحث وانطباعته (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) .

١٤٩- المرجع نفسه .

١٥٠- المرجع نفسه .

١٥١- حسين المسرى «نجران ... »، ص٨٣ وما بعدها ، عصام الدين الفقى . اليمن فى ظل الإسلام، ص٢٢٧ .

١٥٢- وعن مهام المحتسب ، أو عامل السوق ، انظر : يحيى بن عمر . كتاب النظر والأحكام فى جميع أحوال السوق، ص٢٦ وما بعدها ، ابن الأخوة ، كتاب معالم القربة فى أحكام الحسبة، ص٧٥ وما بعدها .

١٥٣- الأزرقى، أخبار مكة، ج١ ، ص١٩١ .

١٥٤- المصدر نفسه ، ابن فهد، إتحاف الورى، جـ٢ ، ص٢٦٠-٢٦١ .

١٥٥- غيثان ابن جريس . عسير ١١٠٠-١٤٠٠هـ، ص١٧١، ١٧٢ ، سعيد الأسمرى. تاريخ رجال الحجر، ص١٧١ وما بعدها . مشاهدات الباحث للعديد من الأسواق الأسبوعية فى المنطقة خلال الثلاثة عقود الماضية.

١٥٦- المراجع نفسها .

١٥٧- المراجع نفسها .

١٥٨- قدمة . كتاب الخراج ، ص١٨٩-١٩٠، المقدسى، أحسن التقاسيم ، ص٨٧-٩٨ ، ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١ ، ص٢٦ ، ٣٧ ، سعيد الأسمرى. تاريخ رجال الحجر، ص١٧٥-١٧٦ .

١٥٩- ابن المجاور، تاريخ ، جـ١ ، ص٢٦، ٣٧ .

١٦٠- معاصرة الباحث لأحداث المنطقة وتغيراتها منذ حوالى أربعين عامًا .

١٦١- المرجع نفسه .

١٦٢- ابن جبير . الرحلة ، ص١٠٤ .

١٦٣- ابن المجاور ، تاريخ ، ج١، ص٣٧ .

١٦٤- الهمدانى، صفة، ص٢٦٣ .

١٦٥- قدامة ، كتاب الخراج، ص١٨٩-١٩٠ .

١٦٦- المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص٨٦ ، ٨٧ ، ٩٧-٩٨ .

١٦٧- انظر عبد الله بن عبد العزيز البكرى. معجم ما استعجم . تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، جـ٤ ، ص١١٢٩ .

١٦٨- حسين المسرى «نجران ... »، ص٨٣، ٨٤ .

١٦٩- انظر : تفصيلات أكثر عند أبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى. كتاب النبات، الجزءان الأول والثانى. تحقيق محمد حميدالله. (نشر المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، عام ١٩٧٣م) . والجزء الثالث، والنصف الأول من الجزء الخامس ، شرح وتحقيق المستشرق برنهارد لفين، بمدينة (بفيسبادن بألمانيا ، عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .

١٧٠- القاضى أبويوسف يعقوب بن إبراهيم . كتاب الخراج (القاهرة : المطبعة السلفية، ١٣٨٢هـ) ، ص٧٠-٧١ .

١٧١- انظر الدينورى. كتاب النبات (طبعة بفيسبادن)، ص٢٦٤-٢٦٧ ، قدامة ، كتاب الخراج، ص١٨٩ .

١٧٢- الهمدانى ، صفة ، ص٣٥٨ .

١٧٣- انظر أبو القاسم بن حوقل . كتاب المسالك والممالك (صورة الأرض) . تحقيق أم . دى غوى (ليدن: مطبعة بريل ، ١٨٧٣م) ، ص٣٦ ، أبو اسحاق ابراهيم الاصطخرى . كتاب مسالك الممالك ، تحقيق أم . دى غوى(ليدن : مطبعة بريل، ١٨٧٠م) ، ص٢٤ ، قدامة، كتاب الخراج، ص١٨٩ .

١٧٤- الإدريسى، نزهة ، جـ١ ، ص١٥١ .

١٧٥- المصدر نفسه، جـ١ ، ص١٤٦ .

١٧٦- ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١ ، ص٨٩ ، ٩٧ ، ١٤٠ ، المقدسى، أحسن التقاسيم ، ص٨٧ ، ٩٧ ، ٩٨ ، قدامة. الخراج ، ص١٨٩ ، حسين المسرى «نجران ...»، ص٨٤ .

١٧٧- جواد على، المفصل ، جـ٧ ، ص٢٩٣ .

١٧٨- المقدسى، أحسن التقاسيم، ص٨٧ ، الهمدانى، صفة ، ص٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ .

١٧٩- المسرى «نجران ...»، ص٨٤ ، انظر أيضًا : عمر بن بحر الجاحظ . كتاب التبصر بالتجارة. تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، (بيروت : دار الكتاب الجديد، ١٩٦٦م) .

١٨٠- البلاذرى . فتوح البلدان ، ص٢٧٥ ، حسين المسرى «نجران ...»، ص٦٥-٩٠ .

١٨١- الحوالى، اليمن الخضراء، ص١٥٢ ، أحمد أمين. فجر الإسلام. (القاهرة : مكتبة النهضة، ١٩٦٥م) ص٢٦ .

١٨٢- البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص٥٥ ، المسرى «نجران ...» ، ص٨٤-٨٥ .

١٨٣- انظر : رأفت البندارى . «دراسة لقطعتين نادرتين من المنسوجات الإسلامية» مجلة الدارة عدد (٢٠) (١٤٠٨هـ) ، ص٢٠٨ .

١٨٤- انظر : الجاحظ ، التبصر بالتجارة، ص٣٥ ، المقدسى ، أحسن التقاسيم، ص٨٧ ، ٩٧ ، ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج١ ص٥٢ .

١٨٥- سعيد الأسمرى. تاريخ رجال الحجر ، ص١٧٥ وما بعدها .

١٨٦- المقدسى، أحسن التقاسيم ، ص٨٦، ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، جـ١ ، ص٥٣ .

١٨٧- ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج١، ص٢٠٩ .

١٨٨- المصدر نفسه ، سعيد الأسمرى. تاريخ رجال الحجر ، ١٧٣ وما بعدها .

١٨٩- المرجع نفسه ، أيضًا انظر Magbul Ahmad "Commercial Relations of India with the Arab " pp. 16 ff.

١٩٠- السيد محمد يوسف ، «علاقات العرب التجارية بالهند...»، ص٩ وما بعدها ؛ محمد إبراهيم

زعروت» العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامى فيها ...»، ص١١٦ وما بعدها .

١٩١- ابن حبيب ، كتاب المنمق ، ص٢٨٠-٢٨١ .

١٩٢- الأزرقى، أخبار مكة، ج٢ ، ص٢٦٠ .

١٩٣- ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٥٤ .

١٩٤- ابن جبير ، الرحلة، ص٩٨-٩٩ .

١٩٥- المصدر نفسه .

١٩٦- ابن بطوطة ، رحلة ، جـ١ ، ص١٨٣ .

١٩٧- ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١ ، ص٢٧ .

١٩٨- المصادر الآنفة الذكر التى وردت فى حواش (١٩٢-١٩٧) .

١٩٩- ابن جبير الرحلة، 98-٩٩ .

٢٠٠- جواد على، المفصل، ج٧ ، ص٣٦٥ وما بعدها ، عصام الدين الفقى، اليمن فى ظل الإسلام، ص٢٢٧ وما بعدها .

٢٠١- انظر : أحمد الزيلعى. مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١-٤٨٧هـ) (الرياض : عمادة شؤون المكتبات ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص١٦٠ وما بعدها ، عبدالله السيف . الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى نجد والحجاز فى العصر الأموى. (بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص١٥٠ .

٢٠٢- المقدسى، أحسن التقاسيم، ص٩٩ .

٢٠٣- المصدر نفسه .

٢٠٤- المصدر نفسه .

٢٠٥- المصدر نفسه .

٢٠٦- انظر : S.D. Goitien " from Aden to Andia" **Journal of the Economic and Social History of the Orient**. vol . XXII. Parts 1-2 (Leiden, 1980) p. 60 ; " Letters and Documents on the India Trade in Medieval Times" **Islamic Culture** . vol . XXX VII . No . I (1963) p. 199 .

٢٠٧- ابن المجاور، تاريخ ، ج١ ، ص٨٠ ولعل تسمية هذا الدينار بـ (الأحمر) ، لأن لونه يميل إلى اللون الأحمر.

٢٠٨- ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١ ، ١٢-١٣، ٨٠ .

٢٠٩- يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى، جـ١ ، ص٣٨٨ .

٢١٠- انظر : مجهول، سيرة الإمام عبدالله بن حمزة. مخطوط بدار المخطوطات اليمنية، ورقة ٦١-٦٢ .

٢١١- وكان الدفع بالأجل يُعرف في بلاد الأندلس باسم القبالة (Copala)، بينما عرفت في اليمن باسم التقبيل ، حيث ينزل تجار التمور في موسم جنى التمور ، فيأخذ كل تاجر على قدر استطاعته ثم يسدد الثمن من عملية البيع في يوم محدد يتم الاتفاق عليه بين التاجر وصاحب الثمرة . انظر : ابن المجاور، تاريخ . جـ١ ، ص٧٩-٨٠ .

٢١٢- المصدر نفسه ، ص٨٩ ، ١٤٤ .

٢١٣- المن في بيع ووزن السمن = ٨٠٠ درهم ، فيكون وزن الجمنة تقريبًا حوالي ١٢,٥ كجم .

٢١٤- ابن المجاور ، تاريخ ، ج١ ، ص٨٩ .

٢١٥- المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص٩٩ ؛ ابن المجاور ، جـ١ ، ص١٢ . لقد استخدم الرطل للوزن في صدر الإسلام ، فكان يساوي في أغلب حواضر شبه الجزيرة العربية (١٢) أوقية ، كل أوقية تساوي (٤٠) درهمًا ، أي يساوي (١,٥) كجم. انظر: فالترهنتس المكاييل والأوزان وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي (عمان، ١٩٧٠م) ص٣٠ ، عبدالله السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص١٥٠ . والرطل اليمني يساوي الرطل البغدادي وكلاهما حدده ابن المجاور بـ (١٣٠) درهمًا ، أي ما يساوي (٤٠٦,٢٥) جرام على أساس أن الوزن الدقيق للدرهم = (٣,١٢٥) جم ، راجع ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١ ، ص١٢ ، هنتس ، ص٣٠-٣١ .

٢١٦- بينما يذكر ابن المجاور أن المن في اليمن = (٣٢٠) درهمًا ويباع به الحرير ويوزن به العود والزعفران، وطبقًا لذلك فهو يساوي في اليمن (١٠٠٠) جم أي كيلاً واحداً في حين أن مَنّ الحرير في مناطق أخرى كان يساوي (٢٦٠) درهمًا أي حوالي ٨١٢,٥ جرام . انظر ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١، ص١٢ ، ٨٩ ، ١٤٤، أبو محمد الطيب بامخرمة . تاريخ ثغر عدن ، (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٣٦م) جـ٢ ، ص١٩٥ .

٢١٧- المصادر نفسها التي وردت في حاشية (٢١٥، ٢١٦) .

٢١٨- المصادر نفسها.

٢١٩- المصادر نفسها.

٢٢٠- المصادر نفسها .

٢٢١- المصادر نفسها .

٢٢٢- الدانق : كلمة فارسية، ويعني السدس، وهو كوحدة وزن نقد ($\frac{1}{6}$) درهم. انظر : هنتس ، المكاييل ، ص٢٩ ، عبدالله السيف ، الحياة الاقتصادية، ص١٥٠ .

٢٢٣- القيراط : جزء من الدينار ، وكان يستخدم في عيار النقود وضربها ووزن الأحجار الكريمة، ويعادل

في جزيرة العرب حوالى ١٩٥ , ٠جم. انظر ابن المجاور ، تاريخ ص٨٩، ١٤٣ ، هنتس ، المكائيل ، ص٤٤ .

٢٢٤- انظر أبوعبدالله الزبير بن بكار . جمهرة نسب قريش ، تحقيق محمود شاكر (القاهرة ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) ، جـ١ ، ص٤٩ .

٢٢٥- القاسم بن سلام أبوعبيد . كتاب الأموال. تحقيق محمد خليل هراس (القاهرة، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) ص٦٣٠ . الدينار كوحدة وزن يساوى نظريًا مثقالاً واحداً، وكوزن سبيكة ذهبية يساوى (٤,٣٣٣) جم، انظر : هنتس ، المكائيل ، ص٢٩ .

٢٢٦- انظر : عبدالله السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص١٥٠ .

٢٢٧- انظر : ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١ ، ص١٢ ؛ هنتس، المكائيل، ص١٩ .

٢٢٨- ابن المجاور ، تاريخ ، ط١، ص١٣ .

٢٢٩- لمزيد من التفصيلات عن المد والصاع وغيرهما، انظر : أبوعبيد، كتاب الأموال، ص٣٢٩ ، ٦٢٣، المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص٩٨-٩٩ ، عبد الله السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص١٥٠ ، هنتس ، المكائيل ، ص٦٤ .

٢٣٠- ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١ ، ص١٣ .

٢٣١- المقدسى، أحسن التقاسيم ، ص٩٩ .

٢٣٢- انظر عبدالله السيف ، ص١٥٠، هنتس ، ص٩٣ .

٢٣٣- هنتس ، ص٩١-٩٢ .

٢٣٤- المرجع نفسه ، ص٨٤-٨٧ .

٢٣٥- المرجع نفسه ، ص٨٥ .

٢٣٦- جواد على ، المفصل ، جـ٧ ، ص٦٢٠،٦٢٣ وما بعدها .

٢٣٧- الهمدانى، صفة، ص٣٣٨-٣٤٠ .

٢٣٨- أبو الفداء إسماعيل بن كثير . البداية والنهاية (بيروت : مكتبة المعارف، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) جـ١٣ ، ص٢٦ .

٢٣٩- عبدالله أبوداهش ، أهل السراة، ص٥٠ ، نقلاً عن ابن فهد فى كتابه : (أتحاف الورى) .

٢٤٠- عبدالله بن على النعمان الضمدى. العقيق اليمانى فى وفيات وحوادث المخلاف السليمانى . مخطوط ، جـ٢ ، ص١٨١-١٨٢ (يوجد صورة من هذا المخطوط ضمن أوراق مكتبة الباحث) .

٢٤١- المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٠٥ .

٢٤٢- لازالت هذه الأمراض تظهر فى الأجزاء التهامية ، وخاصة الحميات . فقد عاصر الباحث ، فى شهر جمادى الثانية عام (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) ظهور مرض الحمى فى منطقة جازان، ثم انتشارها فى أماكن عديدة من المملكة العربية السعودية، وقد توفى على أثرها عشرات الأشخاص ، مع أن العديد من الأجهزة الحكومية تصدت لهذا المرض الذى أطلق عليه (حمى الوادى المتصدع) ، وقد تحتاج إلى وقت طويل للقضاء عليه .

٢٤٣- عبدالله الضمدى، العقيق اليمانى، ج٢، ص٢٤٢ .

٢٤٤- عبدالله أبوداهش، أهل السراة، ص٥٠-٥١ .

٢٤٥- أحمد بن محمد المشنى «الشقيرى» مجلة العرب ، ج١١-١٢ (الجماديان / ١٤١٦هـ) ، ص٧٩٨، انظر أيضًا : أبوداهش، أهل تهامة، ص١١٩ .

٢٤٦- عبدالله الضمدى، جـ٤ ، ص٤٠٨ .

٢٤٧- انظر : عبدالله بن حسين العصامى. سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى (مصر : المطبعة السلفية، د.ت) جـ٤ ، ص٥٠٢ .

٢٤٨- عبدالله أبوداهش، أهل تهامة، ص١١٩ .

٢٤٩- معاصرة الباحث للكثير من المسنين فى بلاد تهامة والسراة. وهم يذكرون ما عانوه فى حياتهم المعيشية الماضية من جوع وعدم وجود الأمن على أموالهم وأرواحهم. كما أيضًا من يطلع على الوثائق التاريخية فى العصر الحديث ، وخاصة ما يمس التاريخ السياسى لأهل تهامة والسراة وبقية قبائل الجزيرة العربية فأنه سوف يجد ويلمس صحة ما رواه الرواة وتناقلوه عن بعضهم البعض .

٢٥٠- المرجع نفسه.

٢٥١- انظر تقى الدين محمد الفاسى. العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) جـ٤ ، ص٨٦ .

٢٥٢- انظر ابن حجر العسقلانى. أنباء الغمر بأبناء العمر فى التاريخ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ، جـ٤ ، ص١٧٧ .

٢٥٣- عز الدين بن فهد. غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام (جدة : دار المدنى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٢٥٤- ابن المجاور ، تاريخ ، جـ١، ص٥٢ ومابعدها .



